كتاب اليوم

ثرثرة مع نجيب محفوظ

سهام ذهني



دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ فبراير ٢٠٠٢ □
□ عدد ٤٥٠ □

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

البلد	السعر	العملة
الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج. اليمنية	٢٠٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهما
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٣	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٢٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

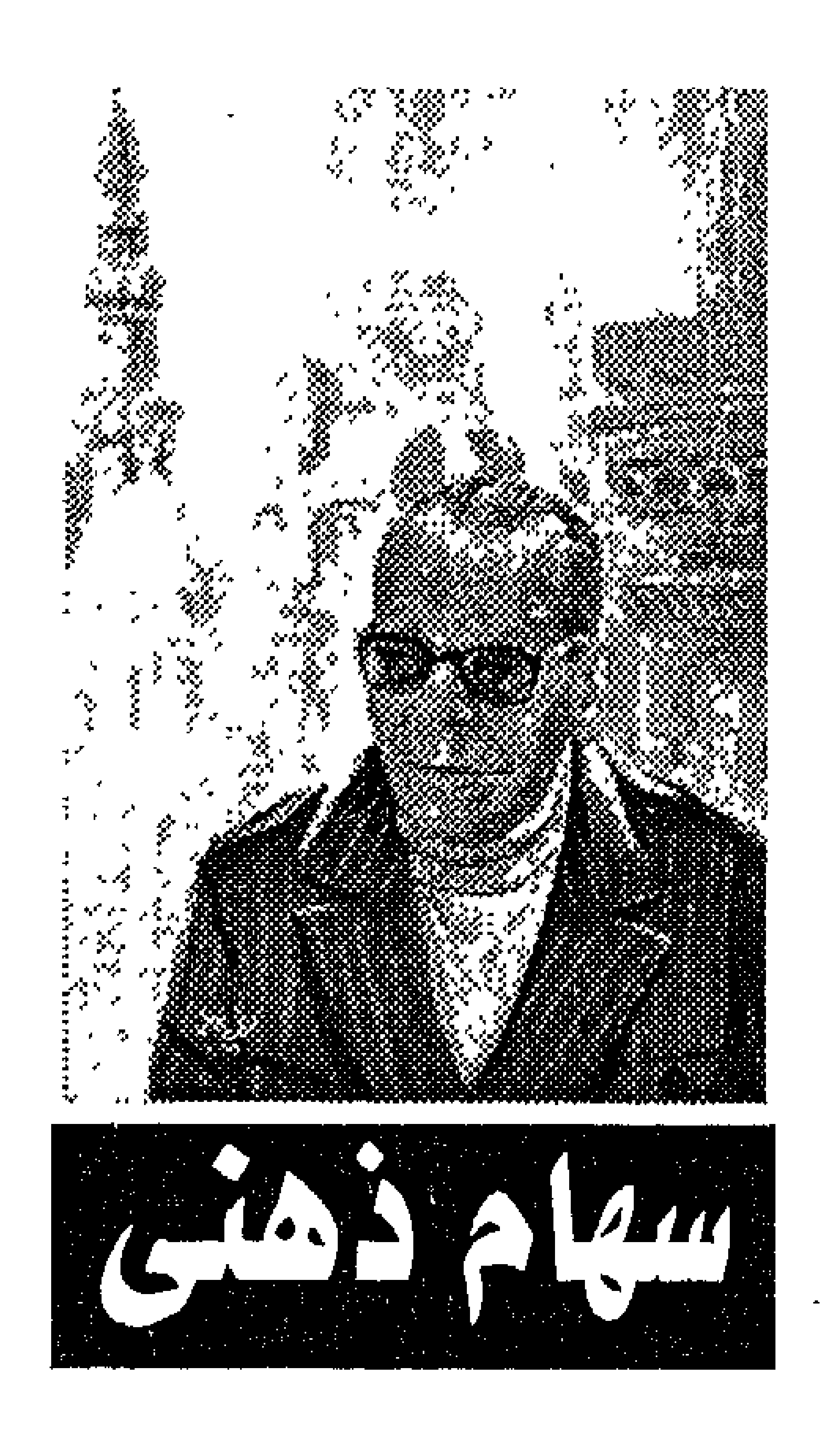
● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٣٣ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٣٨ دولارا
أوربا وأمريكا ٤٣ دولارا
أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا
٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات
٣ (أ) ش الصحافة
القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
● تلكس دولى : ٢٠٣٢١ ٠
● تلكس محلى : ٢٨٢
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة
● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠



سهام ذهني

و

ثرثرة مع نجيب محفوظ

إهـــداء

إلى سامية ذهنى:

شقيقتى المثل الأعلى أمامى

فى التضحية

بالمال والمركز من أجل طاعة الله

سهام ذهنى

مقدمة

مدينة أنا لأستاذنا العظيم نجيب محفوظ بمنحى سعادة كبيرة فى كل مرة ألتقى معه فيها مثلما أنا مدينة له بأنه قد منحنى متعة لا حدود لها مع كل سطر أقرأه فى أعماله.

وأروع ما يبهرنى فى الكاتب الكبير كلما التقيت به هو تواضعه الشديد، فمنذ أول لقاء لى معه من حوالى ربع القرن، مرورا بنوبل، وحتى اليوم، وهو نفسه لم يتغير، بسيط، حبوب، ابن بلد، لم يعرف الغرور طريقه إلى نفسه أبدا، بل يتعامل دائما بمنطق أن المعلم يعيش يتعلم، بالرغم من أن الحقيقة هى أننا نحن الذين نتعلم منه الدقة والدأب والإخلاص والتواضع.

ولقد شرفنى أستاذنا الكبير نجيب محفوظ بإجراء عشرات الحوارات معه فى موضوعات عديدة بداية من الأدب، ومرورا بالحديث عن والدته وزوجته وابنتيه، ووصولا إلى الحديث عن أمريكا التى وصفها لى بأنها أكبر فتوة فى العالم الجديد. وأعترف أننى لم أكن أفكر فى جمع هذه الأحاديث داخل كتاب لولا «رشاد كامل» مدير تحرير مجلة «صباح الخير» وهو بالنسبة لى زميلى العزيز منذ أيام قسم الصحافة بكلية الإعلام، وهو أيضا دودة الكتب الذى لا يشبع من القراءة، والذى لا يبخل بخبرته فى مجال النشر، لذلك فقد كان هو الذى تطوع ذات صباح وسألنى لماذا لا تجمعين حواراتك العديدة مع نجيب محفوظ فى كتاب؟

وبالرغم من أن الفكرة لم تكن مطروحة بداخلي ،إلا أنها فى الحال قد لمست قبولا فى نفسى.

أما عنوان الكتاب فقد ولد عبر دردشة مع «أحمد عبدالتواب» الكاتب الصحفى بالأهرام، عندما كنا نتحدث معا حول أن نجيب محفوظ ليس قمة فى الأدب فقط، فكل ما يقوله سواء عبر الأدب أو عبر الحديث معه هو كلام يضيف دائما ويطرح قضايا مليئة بالثراء، من هنا فعندما يكون الحوار مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ فإن الثرثرة تتحول عن جداره إلى درر ولآلئ وحكم شديدة الإيحاء، سواء حين كنت أجرى معه حوارات مطولة عندما كان فى صحة جيدة، أو الآن حيث تغلب على ضعف السمع ،والبصر وعلى تسلل الوهن إلى الجسد بأن لجأ إلى الإجابات التلغرافية، فإذا به يملك عبر حروفها من الدقة ما يجعله يتمكن من أن يقول أعمق المعانى فى أقل الكلمات.

تحية لأديبنا الكبير ولقيمة العمل والإجادة التى يرفعها بصورة عملية، كما أجدده الشكر الذى لا ينتهى على المتعة التى أحصل عليها، عبر قراءة أعماله، وعبر الجلوس معه، أسأل فيتحملنى، ويجيب فأتأمله، ثم أرحل من منزله وأنظر حولى فأرى الحياة أرحب.

سهام ذهنى

القاهرة يناير ٢٠٠٢



نجيب محفوظ يتحدث عن مونيكا والفياجرا والهوسة الجنسية:

■ الجنس المطروح على الجميع يثير هوسة جنسية.

■ الرجل الذى لا يقاوم أى فستان حريمى.. منحرف نفسيا!

■ رجاء النقاش أحبه وأثق فيه لكن كان يجب أن يقرأ معى كتاب الحوارات.

■ «الهلس» فى حياتى مثل نقطة صغيرة فى كوب من الماء.

● ديسمبر ١٩٩٨●

عندما اتصلت بالكاتب الكبير «نجيب محفوظ» وهنأته بعيد ميلاده، طلبت منه أن تحتفل «صباح الخير» معه بطريقتنا الخاصة، وهى أن نتأمل معه في أهم ما شغل الرأى العام خلال شهور السنة باعتبار أن عيد ميلاده يأتى فى شهر ديسمبر حيث تفرض نهاية السنة نفسها علينا وتدفعنا لنتأمل مافعله فينا العام.

انتعش الكاتب الكبير للفكرة. وقال لى: أنا فى انتظارك.

ثلاثة أشياء لم تعد تتغير كلما زرت الكاتب الكبير نجيب محفوظ فى الفترة الأخيرة، هذه الأشياء هى: كمية الزرع الكثيف التى تظلل شرفة شقته بالدور الأرضى على النيل فى العجوزة، والحراس الجالسون عند مدخل العمارة والذين لا يسمحون لضيوف الكاتب الكبير بالدخول إلا بعد الاحتفاظ بالبطاقة الشخصية للزائر على أن يتم ردها له عقب اللقاء، ثم القطط الصغيرة التى تلعب على المشاية الموجودة أمام باب شقة الكاتب الكبير، والتى تحاول أن تدخل الشقة مع كل فتح للباب فى ألفة شديدة مع المكان.

وعندما فتح لى أديبنا الكبير نجيب محفوظ الباب قادنى كالمعتاد إلى غرفة الصالون، وقبل أن يجلس إلى جوارى رفع الغطاء عن صينية مجهز عليها كوبان من عصير الجوافة الطازج قائلا لى: اتفضلى يا ست سهام، يشعرنى أديبنا الكبير بالحرج الشديد للهجته الودودة عادة معى. أشكره على استعداده لضيافتى وأرجوه أن يجلس ليستريح.

بعد أن يجلس أقدم له أنا بدورى أحد الكوبين فيأتى رده بأنه لا يريد، أقول له: إذن لماذا أعدت السيدة الفاضلة قرينتك كوبين وليس كوبا واحدا، يرد بما يؤكد أنه لا ينسى شيئا: لقد اعتدت أن تزورينى أنت وزوجك وهذه أول مرة لا يكون معك.

تأكد لى مع هذه اللحظات الأولى من اللقاء كذب ادعاء من يقولون أن ذاكرة الأديب الكبير قد بدأت تضعف مع عمره الذى يبلغ هذا الشهر الـ ٨٨ عاما. ثم يزداد تأكدى من ذلك مع كل كلمة «صاحية» قالها

ومع كل تحليل «عفى» طرحه، ومع كل تأمل «عميق» علق به على ما يجرى.

واستمتعت، وستستمتعون معه بكل كلمة وكل حرف، فالكاتب الكبير مازال لديه الكثير الجديد بالانتباه إليه.

التعليق الساخر

بداية الكلام كانت بتقرير منى يتضمن أن أكثر ما شغل الرأى العام على مستوى العالم خلال هذا العام هو تفاصيل وتطورات فضيحة مونيكا.

وأسأله:

■ لو افترضنا أن الأستاذ نجيب محفوظ يقوم بكتابة رواية عن فضيحة «مونيكا» ما العنوان الذى يطلقه على الرواية؟

يضحك الكاتب الكبير ضحكة «رايقة» ثم يبدو رده فى البداية بعيدا عن السؤال إلى أن تظهر لى بديهته الحاضرة حيث يقول: كانت هناك أغنية زمان تقول كلماتها: «بستان جمالك من حسنه» كان يغنيها «عبدالحى حلمى» وقيل لى أن أصل كلمات هذه الأغنية هى «فستان جمالك» وليس بستان جمالك» وأن كلمة «فستان» قد تم تغييرها بعد ذلك إلى «بستان».

جاء فى بقية المقطع: «بستان جمالك من حسنه أبهى وأحلى»؟ لا أتذكر الكلمات بالكامل، إنما المهم أننى أختار للرواية عنوان «فستان جمالك»، ثم يضحك الكاتب الكبير ضحكته العريضة على «القفشة» وهو يقول: لأن الفستان قد لعب دورا رئيسيا فى الفضيحة.

■ أضحك معه وأقول: آه صحيح الفستان الأزرق.

(ثم أضيف): ألا ترى أن حكاية الفستان الأزرق تطرح فكرة المؤامرة. فهذه ليست مجرد امرأة وقعت فى غرام رئيس. بل امرأة تضع خطة لشئ معين. فلا توجد امرأة تحتفظ بفستان ثم تقدمه كوثيقة.

– يرد: هذا احتمال. لكن من المحتمل أيضا أن تكون مجنونة مثله.

ما الذى يجعلنى أفكر فى المؤامرة والحكاية الأصلية من الممكن الاقتناع بها، فهذا رئيس معروف عنه الاهتمام بالجانب النسائى وأن له علاقات كثيرة، وهذه بنت جميلة تعمل فى مكتبه، إذن حدوث علاقة بينهما شيء متوقع بدون تآمر.

■ ما تعليقك على هذا النوع من الرجال الذى لا يستطيع مقاومة أى فستان حريمى؟

- هذا يمكن اعتباره نوعا من الانحراف النفسى. فالإنسان السوى لا يفعل هذا.

■ هناك رأى يقول أن المجتمع الأمريكى لم يدن كلينتون لإعجاب الرجال بتعدد علاقاته النسائية، كأنه هو الحلم الذى لم يتمكنوا هم من تحقيقه؟

- كل مجتمع له قيمه وعاداته وأخلاقه، وهى تختلف من شعب إلى شعب، وبدون شك أن الأمريكان، كما نعلم عنهم، لديهم الحرية الكاملة فى الأمور الجنسية: فالعلاقات تقريبا علنية حتى داخل الأسرة.

■ إذا كان البعض قد تعاطف مع كلينتون، فإن زوجته «هيلارى» قد نالت الإعجاب من الغالبية باعتبارها الزوجة العاقلة. فما رأيك فيها؟

- حقيقى نحن متعاطفون مع الزوجة، وأيا كان باطنها فإن سلوكها مثالى.

■ هل تعتقد أن المرأة بشكل عام يجب أن تغفر خيانة الزوج؟

- لا أستطيع وضع قواعد، فالأمور تختلف من بلد لبلد، فعندنا لا أعتقد أننا نتساهل فى مثل هذه الأمور.

■ أؤكد على رأيه فى عدم غفران الخيانة ثم أقول: هناك رأى يقول أن مع العولمة فإن الإعلام الأمريكى قد شغل أذهان العالم طوال العام شئنا أم أبينا بالجنس، كانت البداية بالفياجرا، وما أثير حول تقوية القدرة الجنسية لدى الرجال، ثم جاءت فضيحة مونيكا وأصبحت

صحف العالم جميعا تمتلئ بتفاصيل جنسية يقرأها الجميع صغارا وكبارا فما رأيك فى هذا؟

- يتساءل: هل تريدين أن تقولى أن هذا شيء مدبر «ثم يضيف» لقد حدث كل شيء بظروفه، فحكاية «مونيكا» هى علاقة انفجرت فى فضيحة، والفياجرا اختراع علمى من الوارد جدا أن تأتى من بعده اختراعات أخرى.

■ أقول: ما أقصده هو أننا دون أن نشعر، وحتى هنا فى مصر، أصبحت أية جلسة فى ناد أو فى بيت أو أى مكان عام من التلقائى جدا أن يدور الكلام فيها حول الجنس من خلال «الفياجرا» أحيانا، ومن خلال «مونيكا» فى أحيان أخرى، وكأنها فرصة للتحدث بإباحية فى أمور لم تكن مفتوحة للكلام من قبل.

- يقول: الجنس مهم فى حياة الناس، وأن يكون الجنس مرتبطا بفضيحة لرئيس أكبر دولة فى العالم، لابد أن تثير الفضيحة الاهتمام.

أما الفياجرا فهو دواء من ضمن سلسلة اكتشافات يحاولون أن يعيدوا بها الشباب، والتى بدأت بـ «فورونوف» الذى كان يقوم بعمل عملية نقل - لا مؤاخذة - خصية قرد إلى إنسان.

فأى دواء يهم المرضى الذين يعالجهم هذا الدواء، فلو أنا سمعت عن اختراع دواء لمرض السكر، سأهتم بأخبار هذا الدواء أكثر من أى شيء فى العالم.

أما الجنس فيهم كل إنسان سواء كان صحيحا أو مريضا، وظهور دواء له صلة بالجنس من الطبيعى أن يثير هذا الاهتمام.

لقد ظهرت أخبار عن أدوية ترد البصر، وعن أدوية تقضى على بعض أنواع السرطان، ومرت هذه الأخبار، فالقارئ يقرأها ويهتم بها اهتماما جزئيا ثم ينساها بعد قليل، لكن حكاية الجنس المطروح على الجميع، والتى من الممكن للجميع استعمالها من الطبيعى أن تثير هذه الهوسة الجنسية.

■ لكن ألا تسبب استباحة هذه «الهوسة» الجنسية أضرارا للمجتمع وعبئا جديدا على البيت المصرى؟

- طبعا مشكلة، وتحتاج إلى نصائح فى التليفزيون من الأطباء ورجال الأخلاق معا. يقومون بعقد جلسات لتبصير الناس مثلا حول الفياجرا وعواقب استخدامها باعتباره دواء شديد الخطورة. حيث يقولون أنه شديد الضرر على كبار السن، وعلى الذين يعانون من أمراض القلب والسكر. هذه أشياء لابد من شرحها شرحا جيدا، أما الأخلاق فنحن دائما نتحدث حولها ولابد من زيادة الجرعة بهذه المناسبة.

■ أنا فوجئت بابنى «جمال» الذى لم يتجاوز عمره اثنى عشر عاما يسألنى ببراءة: «ما معنى كلمة فياجرا يا ماما» فلو أن لديك حفيدا فى سن المراهقة أو على أعتابها وسألك: «يعنى إيه فياجرا يا جدو» بماذا ترد عليه؟

– أقول له أنه دواء يقوى بعض الناس الضعفاء، وأنت شاب قوى ولست فى حاجة إليه.

■ ولو سألك عن فستان مونيكا الأزرق؟

– يتردد الكاتب الكبير كثيرا، ويتلعثم كثيرا ثم يضحك ضحكته المميزة ويقول: سأرد عليه بأن كلينتون بينما كان يلاعب مونيكا طبع نفسه عليها.

■ أضحك وأسأله: أى أنك ستقول له أنها البصمات.

– يرد: سأقول له أن وجهه مثل البصمات، أو سأقول له أن هذا الفستان هو الفستان الذى كانت ترتديه مونيكا فى الفترة التى كانت علاقة الحب بينها وبين كلينتون شديدة.

■ أقول: لكن أطفال هذا الزمان لا يمكن الضحك عليهم: سيسألك كيف، وسيخرج من كيف إلى كيف أخرى.

الحس الفنى

يضحك باستسلام وأضحك معه ثم أقول:

هذاالكلام ينقلنا للروائى «فتحى غانم» وروايته الجديدة والتى نشرتها «صباح الخير» فى حلقات فمن ضمن ما تتناوله الرواية فكرة أن العالم مع «العولمة» تتحرك فيه «الموساد» للعبث بالمقدسات من خلال زيادة بث كل ما له صلة بالجنس لتشويه الخيال كى يصير الجنس هو أهم الاهتمامات. فما رأيك فى فكرة أن إغراق العالم بالجنس هو شيء مخطط له وليس مصادفة؟

يصمت الكاتب الكبير طويلا ويفكر متأملا. أحاول أن أحرك الصمت. فأضيف أن الروائى «فتحى غانم» يصف ما تقدمه الفضائيات بأنه «صهللة» ولا تمت للروحانيات بصلة.

– بنظرة كلها أسى وصوت كله حزن يرد: أول ما أريد أن أقوله بناء على هذا الكلام الذى ذكرته هو أنك قد جعلتنى أشعر بالأسف، لأننى لو كنت أستطيع القراءة لقرأت رواية «فتحى غانم» حقيقة.

ثم يضيف: أما الفكرة فلا أستطيع أن أحكم عليها، وإن كنت أعتقد أنه يستطيع معالجتها فنيا علاجا طيبا جدا، وهذا هو المهم فى العمل الفنى.

■ أقول: هو يقدمها بشكل فنى جميل جدا، وهو يكتب للرواية شعارا أنها قصة تخريفية شبه بوليسية، وتدور الأحداث فى نسيج جميل فعلا

– يرد: طبعا هذا شغل.

■ ما رأيك بشكل عام فى الروائى «فتحى غانم»؟

ـ «فتحى غانم» من كبار الروائيين فى العالم العربى «مفيش كلام».

■ أحد التعبيرات التى جاءت فى الرواية هى أن الناس يتحولون إلى أشخاص متخمين باللذة فما رأيك فى تعبير «تخمة اللذة»؟

ـ هذه لا تتاح للكثيرين، مثلها مثل تخمة الأكل.

■ فى رواياتك كان للجنس دور كبير فى أزمات الأبطال مثل «السراب» وأيضا فى «الثلاثية» وكذلك فى «بداية ونهاية». إلى أى مدى من الممكن أن يشكل الجنس أزمة للإنسان مثلما حدث مع الأبطال الذين قدمتهم فى رواياتك؟

ـ هذا يتبع الظروف والأحوال التى تدور فيها الأحداث، فمن الممكن أن يؤدى الجنس إلى تكوين عائلة سعيدة أو علاقة سوية، ولكن من الممكن لظروف ما أن يؤدى إلى انحرافات وجرائم.

■ كيف نحقق التوازن بين الروح والجسد؟

ـ هذه مسألة شخصية لا أستطيع أن أقول فيها كلاما عاما، فكل إنسان له ميزانه الشخصى، الذى يحقق به وجوده وسعادته فى هذه الحياة، ويستطيع بهذا الميزان أن يرى المقدار الذى يغذى الجسم، والمقدار الذى ينعش الروح.

■ إذا كان الروائى فتحى غانم قد تناول تخمة اللذة، وأن هناك قصدا فى العالم لتحقيق هذه التخمة، فإن فضيلة الشيخ محمد الغزالى «رحمه الله» يشبه الحضارة الغربية بأبى الهول، باعتبار أن لها رأس إنسان وجسد حيوان، وهذا الجسد ليس بمعنى القوة ولكن بمعنى الغريزة، وقد كان رأيه فى أن الحياة التى يتقدم فيها الإنسان بغرائزه ويتخلف بروحه هى حياة لا تؤدى إلى الكمال، فما تعليقك على هذا الرأى؟

ـ هذه الجملة الأخيرة صحيحة، وهى أن الإنسان إذا اعتمد على الغريزة لا يصل إلى الكمال أما عن تشبيه الحضارة الغربية بأبى الهول باعتبار رأس الإنسان وغريزة الحيوان فيجب ألا ننسى أن رأس الرجل الأوروبى قد أنتج لنا أشياء رائعة فى الفن والأدب وأيضا فى العلم والتكنولوجيا.

■ ما الفرق بين الإنسان المشغول بالغريزة، والإنسان المشغول بالروحانيات؟

- كلاهما ينفى جانبا من الإنسان، فالمستغرق فى الغريزة ينسى جانبه الروحى والمستغرق فى الروح ينسى أن لجسده عليه حقا، ولذلك فإن الإنسان المعتدل هو الذى يعطى لكل شىء حقه.

الانفعال الشديد

■ فى كتاب مذكراتك الأخير تحدثت عن اندفاعك فى الشباب وراء الغريزة فكيف ينقذ الإنسان نفسه من الاستغراق فى الغرائز؟

- بالاهتمام بالأمور الأخرى، أنا مررت بهذه الأشياء مرورا ولكن شغلى الشاغل كان الأدب والفن، وأن أكون نفسى ككاتب لذلك فإن هذا «الهلس» كان فى حياتى مثل نقطة صغيرة فى كوب من الماء.

■ لكن الكتاب قدم هذا «التهليس» بشكل يعطى الإيحاء بأنه كان شيئا كبيرا جدا.

قلت هذا السؤال ثم لأول مرة فى حياتى أجد كاتبنا الكبير منفعلا إلى درجة أن ارتفعت درجة صوته وكأنه هو نفسه يريد أن يسمع ما يقول، ثم إذا به لا يكتفى بنفى بعض ما جاء على لسانه فى الكتاب، بل لقد وصل الأمر إلى أنه قد قال ما يتعارض معه، وهذه هى وقائع ثورة نجيب محفوظ، فبصوت عال يصيح معلقا على ما جاء فى كتاب حواراته مع «رجاء النقاش» عن الجنس فى حياته قائلا:

هذه كانت فترة. بينما أنا إنسان عشت حياتى كلها على مكتبى ولم أكن أرى الدنيا إلا يومى الخميس والجمعة.

ثم كأنه يريد أن يتأكد من وصول المعنى الذى يريده فيقول لى: هل واخدة بالك «يا ست سهام».

■ أقول: أنا لم أكن أريد التعرض لما جاء فى كتاب «رجاء النقاش» حول مذكراتك، لكن إنفعالك يستدعى طرح السؤال غير المحسوم، وهو: لماذا لم تقرأ الكتاب قبل النشر؟

— مازالت نبرة صوت الكاتب الكبير مرتفعة على غير العادة، حيث يقول: السيدة «نوال المحلاوى» مديرة النشر تقول أنها قد عرضت على

أن أقرأ الكتاب، وأنني قد اعتذرت، أنا لا أكذبها، فهي سيدة محترمة ومصدقة عندي، ولكن - وبعد كلمة «ولكن» تزداد نبرة الصوت انفعالا
- أقسم لك بأولادي أنني لا أذكر هذه الواقعة.

الأمر الثاني أن عتابي الوحيد على «أخويا» رجاء النقاش، أنا أحبه حبا لا نهائيا، وأثق فيه ثقة لا نهائية، لكني أعتب عليه بشيء بسيط فيما يتعلق بهذا الكتاب، أنه بعد أن انتهى من إعداده، وقبل أن يسلمه للنشر كان يجب أن يقرأه معي.

■ أقول: أنا رأيي أن أزمة هذا الكتاب هي أزمة «صياغة» وليست أزمة آراء، وأن معظم الآراء قد سبق أن قلتها في أعمال أدبية، لكن صياغة الكتاب خرجت غير مريحة أحيانا. مثل وصف حرب الاستنزاف بأنها «كلام فارغ» هذا التعبير شديد القسوة. لو تم استخدام تعبير آخر لكان الوقع أخف.

- الكاتب الكبير يردد معي مع كل مقطع من كلماتي السابقة كلمة «آه» تعبيرا عن أنه يوافق على كل كلمة أقولها فيؤيدني فيها، ثم يعقب على كلماتي قائلا:

بالضبط، وأنا لو قرأت الكتاب قبل النشر لكنت قد غيرت الكلمة، فالاسترسال في الحديث يتضمن عادة أشياء مختلفة عن الكتابة. فالحديث مثل المسودة، يفتح الإنسان صدره ويتحدث ويقول «هلس» وأشياء من هذا القبيل، وقد كنت أقول كل هذا اعتمادا على أن الأستاذ رجاء النقاش مثلما احتار في مقدمة الكتاب حول ماذا يفعل في الشرائط التي سجلها، أنا كنت أتصور أنه سيفعل فيها شيئا ما. أو إذا كان يريدها اعترافات من لساني إلى الورق، كنا نقرأها معا من أجل الصياغة.

ويضيف: أنا عندي إحساس أن أشياء كثيرة من التي أثارت ضجة لم تمر على رجاء النقاش.

■ كيف؟

- لا أعرف. ربما أن إناسا كثيرين قد ساعدوه مثلما قال هو فى المقدمة وشكرهم، فكانت إعادته إعادة شخص على عمل أعطاه لأناس يثق فيهم. هل واخده بالك معى.

■ أقول: لكن المفروض أن هذا لا يكفى وكان لابد من الاستكمال.

- يقول: وكان من المفروض أن نقرأه معا كى لا يخرج شيئا جارحا لأحد ولكى أتحمل مسئولية الآراء.

■ هل الدعوى التى أقامها ابن شقيقتك مازالت مستمرة؟

- لا. لا توجد قضية.

■ هل تم سحبها؟

- لا، هو لم يرفعها، لقد أرسل إنذارا، وأنا كتبت فى حواراتى مع الأستاذ «محمد سلماوى» أكدت علاقتى به وراضيته.

■ لكن صحيفة «العربى» ذكرت وجود قضية.

- لا، وأنا بعد أن قرأت العربى سألت محمد سلماوى فجاء رده أنه لا يوجد شىء وأنه إذا حدث أى شىء فسوف يخبرنى.

الاعتراف بالحق

■ ما رأيك فى الحرارة التى تم بها التعليق على الكتاب؟

- أنا كنت أتوقع أننى حتى لو راجعت الكتاب وحذفت بعض الأشياء أن تقوم حملة، لأنه لا يوجد شىء أكثر حدة من الاختلاف فى السياسة والدين. فكلاهما يثير الإنسان. لكننى كنت أتمنى لو كان الكلام نقدا موضوعيا فى حدود المناقشة، وكنت أتمنى أن يعف الكلام عن الإساءة اللفظية، ما يصحش.

■ أقول: أستاذنا الكبير أنت راق جدا عند الاختلاف، لكن هناك للأسف أناسا لا يحتفظون بالرقى عند الاختلاف.

– يقول: الإساءة لا تفيد، فعندما يقول لى واحد: أنت فاكر روحك إيه، وشىء من هذا القبيل. ماذا أفاد القضية بمثل هذا الكلام.

■ ما أكثر ما ضايقك فيما نشر تعليقا على الكتاب؟

– يتهرب من الإجابة قائلا: ما كتب عن الكتاب كان شيئا مهولا جدا، وأنا لم أقرأ إلا أشياء بسيطة. بعضها كلام موضوعى يناقش ومن حق صاحبه أن يدافع عن عقيدته وعن زعيمه من أية نسمة هواء تمسه. لكننى وجدت أناسا يغمزون فتغاضيت وأنا معتاد على هذا.

■ ما الذى قرأته ووجدته كلاما موضوعيا؟

- هناك أناس صححوا لى أشياء اقتنعت بها، فعلى سبيل المثال مما أتذكره «محمود أمين العالم» وحريق القاهرة، والأستاذ الكبير «خالد محيى الدين» وكلامه عن محمد نجيب، أشياء لم أكن أعرفها واستفدت بها.

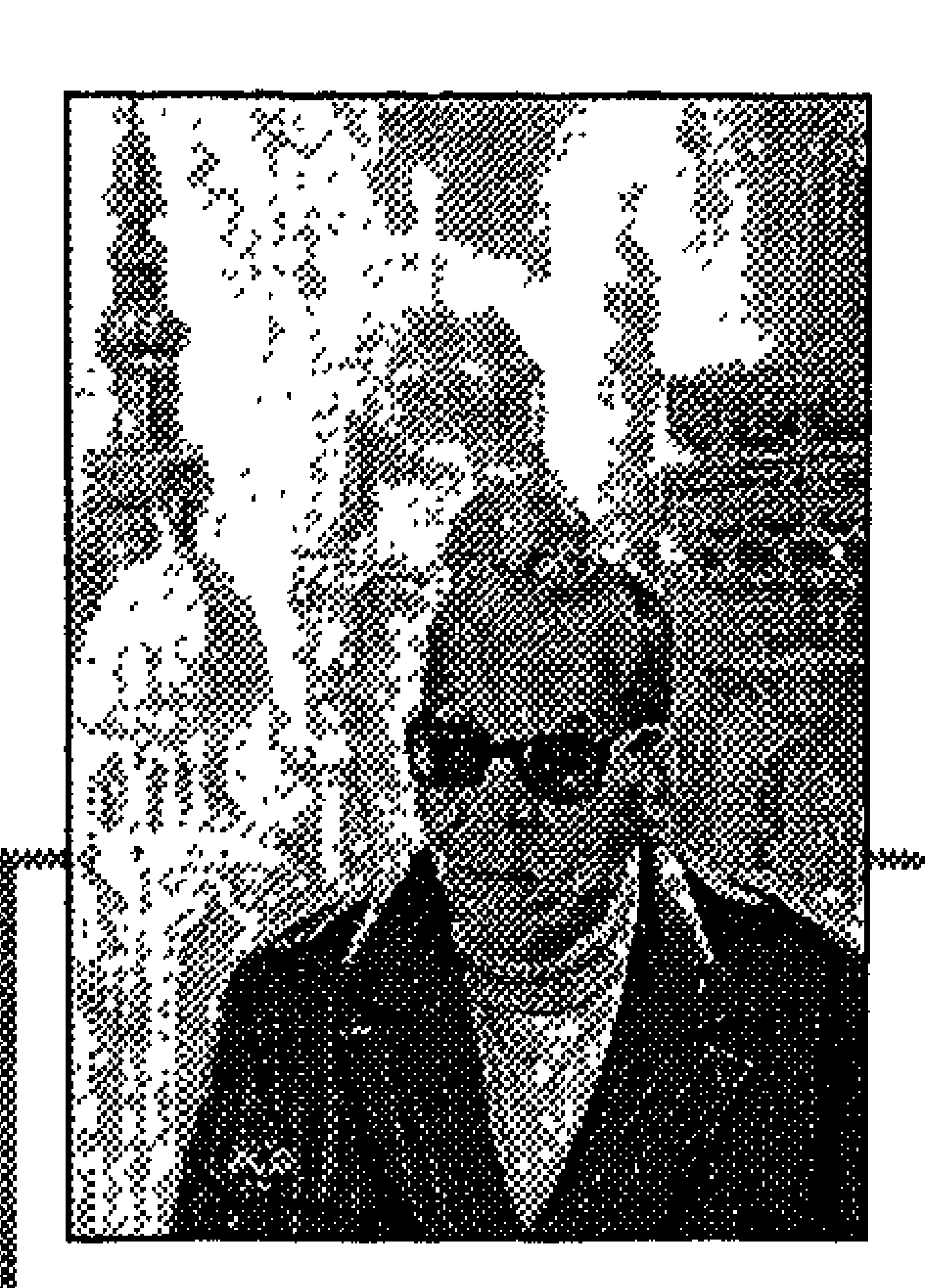
وأيضا الجماعة الذين تحدثوا عن الحرب وقالوا أن حرب الاستنزاف كانت «تمرين» لحرب أكتوبر فاستفدت أن حرب الاستنزاف كانت فيها فوائد منها أنها قد أفادتنا فى النصر.

ثم يضيف: ما الذى جعل كلامى عنيفا على حرب الاستنزاف؟ السبب أننا لو عدنا إلى زمن حرب الاستنزاف سنجد أنها قد وقعت عقب «الطحنة» الأليمة للخامس من يونيو، وكان الواحد فى كرب شديد جدا ثم يأتى بيان يتضمن أننا قد ضربنا هدفا للعدو، فكان هذا يبدو لى إلى جوار الهزيمة عملا صغيرا بالإضافة إلى أن أهل القناة تم تهجيرهم وبترول السويس تم تخريبه، فهذا ما كنت أتصوره، لكن كان هناك شىء خفى قد حدث وهو أن الجيش قد تمرن بذلك تمرينا جيدا أفادهم فى المعركة عندما جاءت.

■ بعد زوبعة الكتاب زهقت من كثرة تكرار الأسئلة فى الحوارات التى تطلب منك. ما وجه الشبه بين هذا وبين زهقك عقب نوبل، حيث كانت الحوارات أيضا تتكرر فيها الأسئلة؟

- فعلا. حكاية مناقشة الكتاب أصبحت عندى غير مقبولة، فقد حدث تشبع، فأنا قلتُ ما قلته سواء خرج بالصورة التى أريدها بالضبط أم ٩٠٪ منه، والباقى كان من الممكن تغيير شىء فيه، وقيل فيه كل ما

يمكن أن يقال يمينا ويسارا، فكل مدح سمعته، وكل ذم سمعته، إذن كفاية بقى، يجب أن نتعلم المناقشة بموضوعية، ويجب عندما نجد خطا فى تفكيرنا أن تكون لدينا شجاعة التراجع عنه، ويجب أن نحافظ على علاقاتنا الشخصية كى تكون المناقشة حضارية، وليس لأن الواحد قال رأيا أن يجد خصوما، «خصوم إيه» هل نحن فى «خناقة».



- هؤلاء الأثرياء يحفرون قبورهم بأيديهم
- الذين ينتقدون «ياسر عرفات» معذورون، وهو أيضا معذور، وحالته تصعب على الكافر!
- نتانياهو جاء ليقضى على كل شىء.
- قلبى الآن مع شعب العراق الذى يقاسى.
- أكبر هزيمة فى حياتى هى عجزى عن القراءة.
- الحارس المرافق لى تحول إلى صديق.

● سنة ١٩٩٨ ●

في هذا الحوار مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ بمناسبة عيد ميلاده الـ ٨٧ يعلق على أهم الأمور التى شغلت الرأى العام عربيا ومحليا.

ولأن قضية الصراع العربى الإسرائيلى تظل هى دائما أهم ما يشغلنا عربيا، لذلك بدأنا فى الأحداث العربية باتفاق «واى بلانتيشن» بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية والذى علق الكاتب الكبير نجيب محفوظ عليه قائلا:

هذا الاتفاق أبعد ما يكون عن تحقيق آمال الفلسطينيين ولكن فيه خيرا ويفتح الباب للمستقبل الأفضل.

■ ما رأيك فيما قيل من أن الاتفاق يحول «ياسر عرفات» إلى شرطى بدلا من إسرائيل؟

- أى واحد يقوم بعمل اتفاقية من الممكن أن يقال عليه هذا الكلام، وأنه شرطى لحساب الآخرين، نحن كان الإنجليز يضربون فينا ونضرب فيهم فأعطونا خطوة استقلالية. أصبحنا نحكم أنفسنا فى الداخل، وهم خرجوا على أساس أن هناك شيئا ناقصا سوف نبحثه فى المستقبل وهو الجلاء ومسألة السودان. فتولى الوزراء المصريون ضربنا بدلا من الإنجليز، هذه هى طبيعة الأشياء، أول وظيفة لمن يحكم هى المحافظة على القانون.

■ بماذا تصف «ياسر عرفات» حاليا؟

- (يتأمل طويلا بأسى ثم يقول): أصفه بأنه رجل مثل ما يقولون فى المثل المصرى «يصعب على الكافر» لأنه طوال عمره يجاهد فى سبيل فلسطين، واليوم حياته مهددة ويتم رميه بالخيانة من فلسطينيين، مع أن ما يفعله هو أنه يبذل كل جهده لاستخلاص شىء من الأرض التى ضاعت إنما كل واحد ينظر للمسألة نظرة مختلفة فالذين فى الخيام فى لبنان يقولون له: لقد نسيتنا. ثم يتساءل نجيب محفوظ:

وهل هو قادر على استخلاص كل حقوق من هم بالداخل كى يتذكرهم؟! وبعد التساؤل يجيب الكاتب الكبير على نفسه قائلا:

هم معذورون، لكن هو أيضا معذور.

■ وبماذا تصف «نتانياهو» رئيس الوزراء الإسرائيلى؟

– «نتانياهو» رجل متشدد. فبلا شك أن العلاقات من قبله كانت تسير بأحسن ما يكون. وكانت أيام حزب العمل تعد بمستقبل جيد وحقوق محترمة ونشاط مشترك. لكن نتانياهو جاء وضيع كل شيء.

■ وبماذا تصف اختياره لشارون السفاح وزيرا لخارجية إسرائيل فى المرحلة الحالية.

ـ نحن فى البداية قلنا أنه قد جاء به ليقضى على كل شيء لكن اتضح أنه قد جاء به ليحتمى فيه باعتبار أن نتانياهو عندما يوافق على شيء يكون قد وافق عليه معه شيخ المتشددين «شارون».

■ ونحن نتحدث عن أهم الأحداث التى شغلت الرأى العام العربى نقرأ: أمريكا تهدد بضرب العراق مرة ثانية. ما تعليقك؟

ـ العراق أخطأ يوم أن غزا الكويت خطأ تسبب فى كارثة للعراق وللوطن العربى كله، ثم خضع العراق للتفتيش ويبدو أن التفتيش ليست له نهاية. والحقيقة أن موقف صدام الأخير عندما قال أنه مستعد للتعاون لكن على أساس جدول زمنى للانتهاء، له حق وإلا سيظل فى المصيدة وسيستنزفونه، أنا قلبى الآن مع شعب العراق الذى يقاسى.

ابن مين فى مصر؟!

ننتقل من أهم ما شغل الرأى العام عربيا إلى بعض ما شغل الرأى العام محليا حيث نجد أن من الأحداث الداخلية التى أثارت الاهتمام حادث مصرع شاب فى «مارينا» بالساحل الشمالى بسبب لانش يملكه أحد رجال الأعمال، هل قرأت تفاصيل ذلك الحادث؟

– نعم، ولقد سألت وقتها: ما هى «مارينا» هذه؟ لأننى لا أعرفها فسمعت كلاما مؤسفا جدا، حيث عرفت أن أغلبيتها طبقة غنية جدا، وأن أبناءهم يعيشون فى الدنيا وكأنها بلا قانون، فهذا شيء مؤسف جدا جدا.

فنحن عندما غيرنا الاقتصاد وسلمنا بالاقتصاد الحر باعتباره ضرورة فرضت من الداخل والخارج كنا ننتظر أن تكون فى يد رجال الأعمال نهضة البلد وحضارتها، لكن لا يجب أن يتصرفوا مثل «الفتوات» والبلطجية.

■ ما تعليقك على اعتياد أبناء هذه الطبقة على أن يكسروا القانون، وإذا حاول أحد محاسبتهم يأتى ردهم ألا تعرف أنا ابن مين؟

- هذا سلوك ردئ غير حضارى ويدل على أن القانون عندنا غير محترم، القانون يجب أن يكون سيد البلاد، وأن يخضع له الجميع، أنظرى إلى القانون فى أمريكا وما الذى فعله فى رئيس الدولة، بدون القانون لا يكون مجتمع.

أنا أذكر فى الثلاثينيات وقبلها قليلا، أيام إنشاء «الكونستبلات» الذين يقومون بتنظيم المرور أن الجرائد قد كتبت عن «كونستبل» أوقف سيارة الأمير محمد على ولى العهد. تصورى.

■ بماذا تصف ما أفرزه مجتمع الأثرياء الجدد لهذه النوعية من الشباب؟

- هذا عبارة عن قلة حضارة وقلة تربية، وكأنهم ناس لا يعرفون أين أمنهم واين مستقبلهم. كأنهم يحفرون قبورهم بأيديهم فهم يجب أن يكونوا طليعة البناء والتعمير وأن يقيموا جمعيات خيرية ويساعدوا البحث العلمى ويكون لهم أثر فى نهضة البلاد بدلا من السلوكيات التى تتسبب فى إثارة القلاقل.

■ هل تعتقد أن أحد عيوب بعض أبناء هذه الطبقة هو رغبتهم فى التشبه السطحى بالغرب؟

- التشبه بالشكليات من الغرب يحدث لأنها أسهل من غيرها. فالأسهل أن يرتدى الرجل بدلة وأن يدخن بايب وأن يأخذ TEA (شاى) الساعة الخامسة من أن يكتشف نظرية علمية.

القراءة والكتابة والأصدقاء

■ هذه الأحداث سواء المحلية أو العربية التى تأملناها مع كاتبنا الكبير، كيف تعرف عليها وهو لم يعد يستطيع القراءة بعينيه؟

- قرأتها بعين الحاج «محمد صبرى»، وهو محرر فى القسم الأدبى بالأهرام، وهو أيضا سكرتير نادى القصة. ويأتى لى يوميا بشكل منتظم ليقرأ لى الجرائد.

■ هل هذا الاتفاق بينكما عن طريق الأهرام؟

- لا، هذا اتفاق إخوة بينى وبينه، وهو يأتى لى يوميا «ماعدا يوم الجمعة» فى حوالى العاشرة صباحا فيجلس معى لمدة ساعة تقريبا، يقرأ لى الأهرام ونلقى نظرة على الأخبار والوفد.

■ هذا عن القراءة، فماذا عن الكتابة؟

- أمارس الكتابة يوميا كتمرين، باعتبار أن الكتابة هى أحسن الأدوات لتحسين عضلات الأصابع.

■ بعد القراءة والكتابة ما الذى يتضمنه بقية جدولك اليومى؟

- يوم السبت يأتينى الطبيب صباحا، وأخصص المساء للمقابلات هنا فى البيت، أما بقية الأيام فيمر على أصدقاء فى المساء ويأخذوننى للخروج والجلوس معا فى أحد الأماكن ففى يوم الأحد يمر على المهندس «نعيم صبرى» وهو شاعر وروائى، ويوم الإثنين رجل الأعمال «حافظ عزيز»، ويوم الثلاثاء «زكى سالم» محاسب وأديب، ويوم الأربعاء «نعيم صبرى» مرة أخرى. ويوم الخميس «توفيق صالح» ونلتقى بالحرافيش وعضوهم الجديد الدكتور «يحيى الرخاوى».

■ هل انضمْ أستاذ الطب النفسى للحرافيش؟

- يضحك بمعزة له ويقول: نعم، وهو الآن له مكانة عظيمة عندنا.

ثم يكمل: ويوم الجمعة الدكتور «فتحى هاشم» الذى كان سببا فى أن أنجو بحياتى يوم الاعتداء.

■ ماذا كان موضوع الكلام فى آخر جلسة للحرافيش؟

- كان الكلام فيها حول القضية الفلسطينية.

■ هل كاتبنا الكبير المعتاد على الانطلاق مازال يعانى من تشديد الحراسة عليه مثلما صرح من قبل مع بداية الحراسة، أم أنك قد تآلفت معها؟

- لا أنا لا أعانى منها الآن (ثم بوجه ملئ بالود وبساطة ابناء البلد يقول): لقد تحول الحارس الذى يتحرك معى إلى صديق واسمه «محمد عبدالتواب»

■ كيف أصبح صديقا؟

-(يرد بفرحة مليئة بالحب): إنه يسمع كلامنا، ويقرأ ويشترك.

■ وماذا عن الحراسة الموجودة على باب البيت؟

- لا. هذه الحراسة لا أخذ بالى منها.

(ثم يضحك بشدة ويقول): لو قدمت لى أحدا منهم فإننى لا أستطيع أن أتعرف عليه. ويغرق فى الضحك قائلا: لأننى كما تلاحظين لم أعد أرى الآن.

■ لماذا لم تعد تحب الاحتفال بعيد ميلادك؟

- لأننى عمرى ما احتفلت به، فنحن فى عائلتنا وتقاليدنا لا نعرف الاحتفال بعيد الميلاد، وكنا فى الحرافيش قد اتفقنا أنه كلما جاء عيد ميلاد واحد منا نقيم عشاء ثم زهقنا، إنما أنا عمرى ما قصدت أن أحتفل بعيد ميلادى بمعنى أن أتصل بناس كى يأتوا لزيارتى ونحتفل، لا شيء من هذا.

لكن ما يحدث أحيانا أن تنشر الصحف أخبارا عن يوم ميلادى وهى كلها أخبار تخرج عن إرادتى.

■ (أضحك وأقول): مثل احتفالنا الآن، لكن احتفالنا كما رأيت ليس احتفال تورتة وشموعا بل احتفال كلام، وأفضل ما نصل به إلى نهاية احتفالنا الكلامى هذا هو أن تعلق لى على تلك الجملة التى أعجبتنى من

الدكتور «الصاوى حبيب» طبيب القلب الشهير الذى ذكر لى وهو يتحدث عن تجربته أن الحياة هزائم وانتصارات، وأننا بقدر إدراكنا لتلك الحقيقة نتخطى الهزيمة ولا يصيبنا الغرور بالنصر.

- (يقاطعنى الكاتب الكبير) قائلا: هذا رجل حكيم. ليس حكيم قلب ولكن حكيم فلسفة.

■ نضحك معا وأضيف أننى من خلال هذا التعبير الحكيم أريد أن أعرف من كاتبنا الكبير ما هى أهم هزيمة فى حياتك وما هو أكبر نصر، وكيف تعاملت مع كل منهما؟

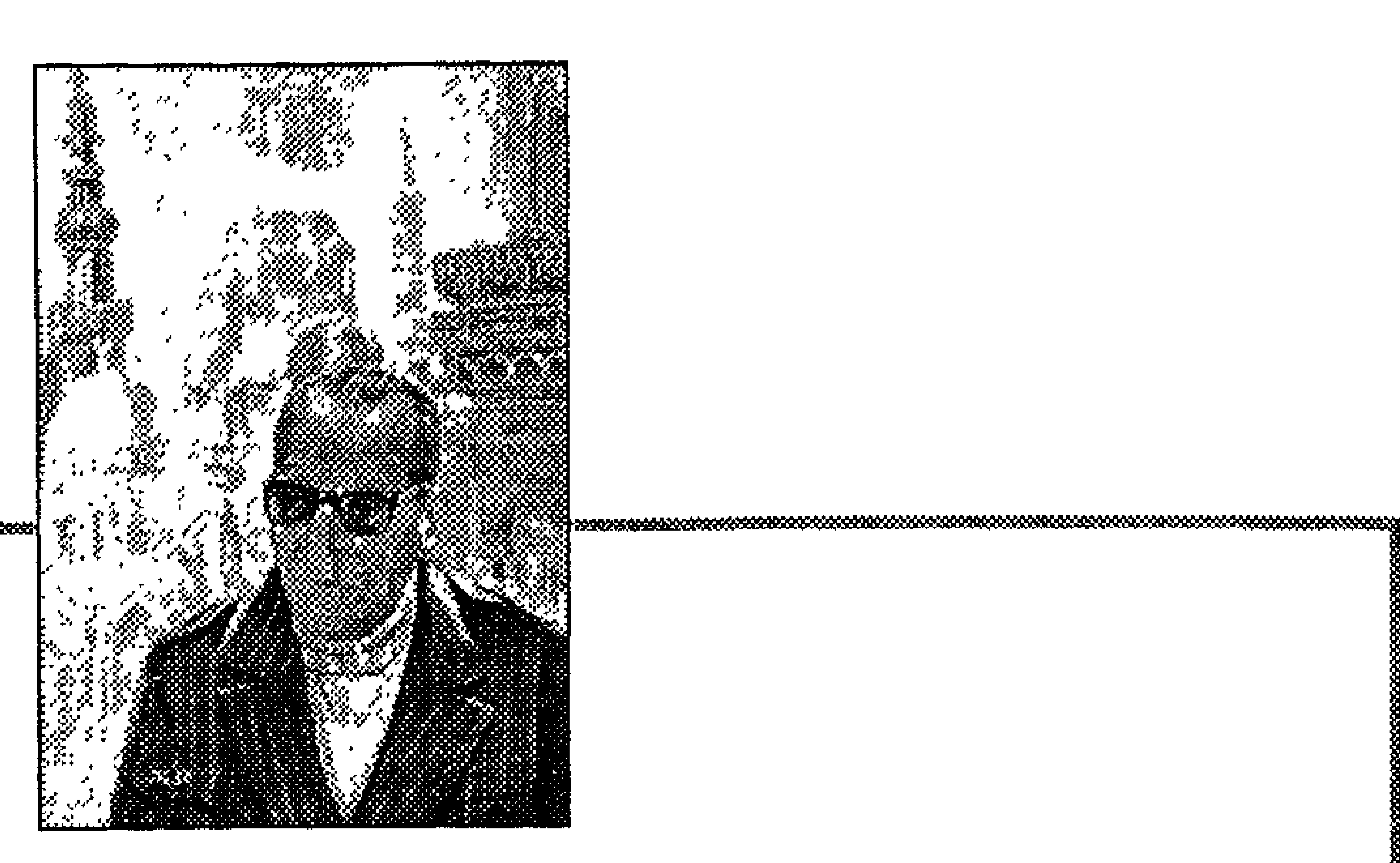
- أكبر نصر هو جائزة نوبل. وقد كانت فرحة شديدة جدا واستمرت، إنما كنت أقول لقلبى أحيانا أن عليه أن يتوقع شيئا ما وعليه ألا يفرح بلا نهاية، لأن الدنيا فيها هذا وفيها ذاك. فجاءت محاولة الاغتيال، كما جاءت قبلها العملية الجراحية التى أجريتها فى لندن:

(ثم يصمت طويلا قبل أن يقول): أما الهزيمة فهى ليست هزيمة واحدة، بل هزائم، ففى محاولة النشر وصعوبته كنت أشعر بمرارة شديدة، لكننى كنت ازداد تصميما.

أما أكبر هزيمة أو خسارة فى حياتى فهى عجزى عن القراءة، لأن القراءة كانت أكبر متعة فى حياتى، ثم لم أعد قادرا عليها الآن.

يقولها، ويلف المكان صمت حزين عميق لا يقطعه سوى قولى له أنها ليست هزيمته وحده فهى هزيمتنا نحن أيضا لأننا لم نعد نستمتع بأعمال جديدة لكاتبنا الكبير.

ولم أكن أتصور أن تكون خاتمة احتفالنا بعيد ميلاد كاتبنا الكبير بهذا الشجن، لكن هذا هو حالنا دائما، قد نملك اختيار البداية، لكن النهاية عادة ليست بإرادتنا.



نجيب محفوظ فى دردشة سياسية:

- أمريكا أكبر «فتوات» النظام العالمى الجديد.
- السلام العادل لن يتحقق فى ظل الترسانة النووية الإسرائيلية.
- رائحة البارود لم تختف تماما من المنطقة والقمة العربية ضرورة ملحة.
- كان يجب أن تكون لأمريكا سياسة تقوم على العدل أكثر من ذلك.

● يوليو ١٩٩٨ ●

اشتهر الكاتب الكبير نجيب محفوظ برواياته عن «الفتوات»، أو بمعنى آخر اشتهر «الفتوات» من خلال كتابات نجيب محفوظ عنهم، وفي هذا الحوار الذي يعلق فيه الكاتب الكبير على الأحداث قادتنا دفة الحوار إلى «الفتونة» في النظام العالمي الجديد، حيث يصف نجيب محفوظ الولايات المتحدة بأنها «الفتوة» الكبير في النظام العالمي الجديد.

سألت الكاتب الكبير:

■ قياسا على «الفتونة» ومنطق القوة الذي اشتهرت بالكتابة عنه داخل الحارة المصرية، هل نستطيع أن نصف أمريكا بأنها هي «الفتوة» الوحيد في النظام العالمي الجديد؟

– نعم على الأقل يبدو أنها هي «أكبر الفتوات».

■ أمريكا في الماضي كانت كفتوة يواجهها «فتوة آخر» هو الاتحاد السوفييتي، والآن لم يعد هناك فتوة في حجمها؟

– نعم، لا يوجد أمامها فتوة يساويها في القوة.

■ ماذا يفعل «الفتوة» عندما لا يكون هناك فتوة مساو له؟

■ حسب خبرتي في الفتوات، فإنهم نوعان، عندما يعرف الفتوة أنه أقوى من جميع الفتوات في الحارات الأخرى، فإن هذا الفتوة الأقوى يحاول أن يفرض سيطرته عليهم، فهناك من يعطي الحماية لحارته ولجميع الحارات بهدف السيطرة، وهناك من يريد أن يقود ويدبر، وهذا نوع بالطبع يكون في الغالب جيد الأخلاق.

■ لكن هذا النوع من الفتوات قليل.

– هو نوع نادر بالطبع.

■ أمريكا طبعا من نوع الفتوات المسيطر؟

■ لا نستطيع أن نعرف ذلك الآن، فسياستها في العالم أغلبها في نطاق مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، فأمريكا لم تظهر منها سيطرة فردية على أحد، ولم تفرض قوتها بشكل ظاهر على أحد حتى الآن.

وعندما وجد الكاتب الكبير أننى أنظر إليه بدهشة، بادرنى هو بالسؤال قائلا: «ما رأيك فى هذا الكلام؟».

■ أنا رأيى أن أمريكا تحاول باسم المنظمات الدولية فرض سيطرتها بدليل أنها تكيل بمكيالين، فالتسلح النووى «حلال» لإسرائيل، لكنه «حرام» على العرب، وهذا شكل من أشكال السيطرة، بمعنى أنها تترك الأمر لمن على هواها.

- الحقيقة أنا لا أعرف ما وجهة نظر أمريكا فى المسألة النووية، فهى تبدو متحيزة لإسرائيل فيما يتعلق بالناحية النووية، فقد سمحت لطرف بالتسلح النووى بينما لم تسمح للطرف الآخر، والدليل على هذا أن إسرائيل ترفض التفتيش، ولم تتخذ أمريكا أى رد فعل تجاهها، بينما مجرد «الشك» فى العراق كانت نتيجته موقفا مختلفا تماما من أمريكا؟ ما السبب وراء هذا؟

هناك من يقولون - والله أعلم - أنها لا تحب أن يكون السلاح النووى فى يد حاكم ديكتاتورى من الوارد أنه قد يقوم بعمل فى إحدى نزواته يتسبب فى خراب العالم كله، بينما فى النظام الديمقراطى الذى يحترم حقوق الإنسان وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن تكون الأمور بالنسبة له أكثر أمنا، وأنا لا أعتبر هذا الرأى دفاعا، ولا أعتبره مبررا، فقد كان يجب على أمريكا أن تكون معاملتها واحدة بالنسبة للسلاح النووى، وعدم وجود هذه المساواة فى المنطقة كان من نتيجته أن السلاح النووى ينتشر كل يوم فى دولة.

■ الواقع يقول أن النظام الإسرائيلى إذا كان ديمقراطيا بالنسبة للإسرائيليين، فإنه فى الوقت ذاته نظام ديكتاتورى على الشعب الفلسطينى، ولا ننسى أن السلاح النووى فى يد إسرائيل يهدد المنطقة بالكامل.

- لا أحد يقول أن السلاح النووى فى يد إسرائيل لا يهدد، وكان يجب أن تكون لأمريكا سياسة تقوم على العدل أكثر من ذلك، وربما لو

كانت عادلة فى المنطقة لما انتشر السلاح النووى بالطريقة التى ينتشر بها حاليا إلى الدرجة التى أصبح فيها الأمر مخيفا ومهددا للكرة الأرضية.

المصالح والمبادئ

■ فيا يتعلق بالديمقراطية، ألا ترى أن أمريكا تكيل بمكيالين أيضا، فهى كانت تحمى «سوهارتو» فى إندونيسيا على الرغم من أنه مستبد وديكتاتور، ولكنها كانت تحميه لأنها تحتاج إليه للقضاء على الشيوعيين، ثم عندما انتهى دوره تخلت عنه، وتم الإعلان عن أنه مستبد وديكتاتور.

– المصالح هنا تتدخل، وتهز المبادئ.

■ لقد ذكرت أمرا مهما جدا هو أن الكيل بمكيالين قد أدى إلى الانتشار النووى فى مناطق أخرى غير الشرق الأوسط وهى جنوب آسيا. فهل ترى أن هذا الانتشار النووى إفراز طبيعى للنظام العالمى الجديد؟

– الانتشار النووى حدث من قبل، ففرنسا وإنجلترا والصين امتلكت كل منها القوة النووية قبل النظام العالمى الجديد إلى جانب الاتحاد السوفيتي وأمريكا وإسرائيل، إذا كانت تمتلك حقيقة السلاح النووى الذى يقولون عنه.

■ ما رأيك فى «سكوت» أمريكا على الهند أثناء إجراء تجاربها النووية، وما أن بدأت باكستان فى تفجيراتها النووية حتى اختلف الأمر. فهل تعترض أمريكا على السلاح النووى عندما يكون فى يد العرب أو المسلمين فقط؟

– إنها تعترض على السلاح النووى عندما يكون فى يد أناس العلاقة بينها وبينهم ليست جيدة، فربما أن الإسلام غير مستهدف أو العروبة، لكن المهم هو العلاقة بأمريكا.

إسرائيل والسلام

■ ننتقل الآن للحديث عن الدولة المجاورة لنا وهى إسرائيل، ففى زيارة وزير الدفاع الإسرائيلى موردخاى للقاهرة مؤخرا سئل: متى توقع إسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووى؟ فأجاب إجابة هلامية حيث قال: نحن نريد التوقيع على معاهدة سلام وينبغى ألا نفكر فى الأسلحة، فما رأيك فى هذا التعليق؟

– أنا أرى أن التوقيع على معاهدة منع الانتشار النووى مرتبط بالتوقيع على معاهدة السلام، فالسلام معناه الأمان المتبادل، وهذا لا يتحقق بينما أحد الأطراف يمتلك ترسانة من السلاح النووى فى حين أن الطرف الآخر خال.

■ هل ترى أن التسوية السلمية تحتضر الآن مع التعنت الإسرائيلى؟

– التسوية السلمية حاليا على الأقل متوقفة، وتحتاج إلي تحريك من الولايات المتحدة أو من إسرائيل، حتى لا يضطر الفلسطينيون إلى الدفاع عن أنفسهم عند اليأس.

■ هل تتوقع أن رائحة البارود من الممكن أن تخيم على المنطقة مرة أخرى؟

– رائحة البارود على أية حال لم تختف اختفاء تاما أبدا، فكل يوم نسمع عن تمرد وعن ضحايا، وعن هدم البيوت، فرائحة البارود لم تختف تماما.

■ هناك أيضا ما يجرى فى جنوب لبنان فى صمت وهو يشبه ما كان يجرى فى مصر ضد إسرائيل خلال حرب الاستنزاف. كيف ترى هذا؟

– فى جنوب لبنان يدافع «حزب الله» عن أرضه، والإسرائيليون يريدون الانسحاب لكنهم يريدون تأمين حدودهم، فصنعوا مشكلة جديدة.

■ هل ترى أن هناك دورا من الممكن أن تقوم به الانتفاضة حاليا؟

- لو يئسوا من كل شيء، فلن يكون أمامهم سواها.

■ هل ترى أن انعقاد قمة عربية من الممكن أن يكون أمرا مفيدا؟

- هذا صحيح، فتبادل الرأى فى مثل هذه الظروف مفيد ولا يضر، حتى لو لم تنته القمة العربية إلى شيء فعال، فإنه من الوارد أن تنتهى إلى شيء مؤثر.

■ لكن ماذا تفعل قمة عربية أمام التعنت الإسرائيل؟

- هل نصادر على الزعماء العرب حقهم فى اللقاء؟ فلنتركهم يجتمعون، ربما يجدون لنا حلا جديدا يعرضونه، وربما يصلون إلى أفكار جديدة.

ثلاثية هيكل

■ طبقا لاتفاقيات «أوسلو» من المفروض أن يتم إعلان الدولة الفلسطينية فى مايو القادم، لكن لو جاء مايو القادم والحال كما هو الآن فما السيناريو الذى تتخيله للأحداث؟

- أرجو من اليوم إلى مايو القادم أن يكون السلام قد حل، وأن يصبح فى الإمكان إعلان الدولة.

■ الخبراء يتوقعون أن الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات لو أعلن الدولة دون اتفاق مع إسرائيل، فإن القوات الإسرائيلية تستطيع إعادة احتلال الأجزاء التى تحكمها السلطة الوطنية، فهل يستطيع عرفات فى رأيك مواجهة هذا الموقف؟

- حسب قوته. فهذا أمر يرجع إلى تقديره، فلاشك أنه سيضع فى حسابه هل إذا فعلها وضاع البلد أحسن أم لا.

■ فى خاتمة الثلاثية الشهيرة للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، والمعروفة باسم «سلام الأوهام» أو «المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل» أشار إلى أن الكرة قد انتقلت من ملعب القومية إلى التيار الإسلامى، فكيف تتخيل أحوال هذا الملعب؟ ومن الذى سيحرز الأهداف؟ ومن الذى سيكون الجمهور الذى يصفق ويؤيد ويثير

الحماس؟

– لا أستطيع أن أتخيل، ولكن إن كان هذا الكلام صحيحا فسيكون أمامنا صراع طويل لا يعلم نهايته أو كيفية نهايته إلا الله.

■ هل تتوقع إذا تحقق ما تنبأ به «هيكل» فى ثلاثيته أن تصبح القيادة لحماس مثلا؟

– لحماس أو كل الدول الإسلامية التى مثل حماس.

■ وهل يمكن أن تحال المنظمة إلى المعاش وهى فى سن الثلاثين، حيث ولدت عقب حرب ١٩٦٧؟

–إن اضطرها الواقع بمعطياته ستتنحى، وربما يحدث هذا من خلال استفتاءات عامة.



ضحك ودردشة مع نجيب محفوظ
حول ما جرى وما سيجرى:

- الفتوة يضرب الأشباح
- القوة وحدها لا تضمن الأمان
- أرجو أن يتساءل المفكرون في أمريكا.. حول أسباب ما جرى وما يجب أن يغيروه في أنفسهم
- قنابـــل الفلســطينيين البشريــة أقوى من القنابل الذرية

● *أكتوبر ٢٠٠١* ●

الكاتب الكبير نجيب محفوظ ككل المصريين يجيد اللجوء إلى السخرية عندما تبدو الأحداث غريبة. فما بالنا إذا جاءت سخريته فى صورة «حكاية».

كنت أثناء حوارى مع الأديب العالمى فى منزله عقب أيام من أحداث أمريكا قد وجدته يقول لى «شوفى»، وهذه الكلمة عندما تأتى على لسانه فهى تعنى أنها تنبيه إلى أمر مهم سوف يقوله.

فانتبهت بينما ظل هو ساكنا وعيناه مزمومتان كأنه مندمج فى لحظة استرجاع لشىء عميق ثم قال لى: «حاحكى لك حكاية».

ازداد انتباهى، فأنا إلى جوار عملاق الرواية العربية وسوف يحكى حكاية.

سبقت كلماته ضحكة لم أتبين سببها لحظتها، ثم أعقبت حكايته ضحكة رنانة منى مصحوبة بضحكة مجلجلة منه.

طبعا تريدون الاستماع معى إلى الحكاية.

بدأ الروائى الكبير نجيب محفوظ الحكاية قائلا: أراد رجل قوى أن يستدرج رجلا آخر ليتشاجر معه بهدف أن يقوم بتكسيره وتكسير عربته.

ثم أضاف: كان هذان الرجلان يبيعان «الجرانيتا» وكان الناس يخافون الرجل القوى، لكنهم كانوا يحرصون على أن يكون المكسب للرجل الآخر الطيب، مما جعل الرجل القوى يريد أن يتخلص منه.

وقد بدأ محاولاته للتخلص منه «بتلقيح الكلام عليه» لكن ظل الرجل الآخر متحملا وساكتا.

وعندما وجد الرجل القوى أنه لا فائدة من استدراجه بالكلام لكى يضربه، وبأنه مازال ساكتا، إذا بالرجل القوى يصيح فيه باتهام غريب هو : «أنت بتشتمنى فى سرك» وراح نازل فيه ضرب.

انتهت الحكاية وسط ضحكاتنا المدوية. وهل يعيننا على الدنيا طوال العمر سوى الضحك والسخرية وقد جاءت سخرية الكاتب الكبير

ردا على ما كنت قد بدأت به معه لكى نضحك معا عن طريق كلمات للساخر العظيم «أحمد رجب» كانت منشورة فى بابه الشهير «نص كلمة» بجريدة الأخبار. حيث قلت له أن الكاتب الكبير أحمد رجب قد كتب: «أعرف رجلا فاحش الثراء، واسع النفوذ، مرهوب الجانب، شديد البطش، يفرض الانقياد لأوامره على الجميع ويفتقد ود الجميع، فجأة فى الظلام تلقى هذا الرجل صفعة عنيفة على قفاه، فدار حول نفسه ولم ير إلا أشباحا لا وضوح لها. ولا حول ولا قوة إلا بالله».

بعد أن ضحكنا معا على ما كتبه «أحمد رجب» سألت الكاتب الكبير نجيب محفوظ:

■ من واقع معرفتك بعالم الفتوات، ماذا سيفعل هذا الرجل؟

– أجاب: سيضرب الأشباح.

■ قلت لنجيب محفوظ الذى أبدع فى تحليل عناصر وجود شخصية الفتوة وفى تصوير ملامح أفول نجم فتوة وصعود نجم فتوة آخر.

هل تذكر الهتاف الشهير الذى تستخدمه كموسيقى تصويرية تعقب صعود نجم فتوة جديدة فى الحرافيش وهو: «اسم الله عليه. اسم الله عليه».

– قال بسعادة من يسترجع مشاهد رائعة صاغها خياله ذات يوم: هذا الصياح يصيحه الناس عندما ينتصر فتوة جديد.

■ من خلال خلفية انبهارى بالعمق الذى صور به نجيب محفوظ عالم الفتوات كرمز للقوة فى درجاتها المختلفة أقول له: هل تذكر ما قلته لى من قبل فى حوار سابق حول أن أمريكا هى الآن أكبر فتوة فى العالم؟

– قال: نعم.

■ قلت: فى رأيك ماذا يفعل أكبر فتوة عندما يضرب ولا يعلم من الذى ضربه؟

– يضحك ثم يقول: يأخذ بالشبهات.

■ سألته: مهما كانت النتائج؟

- يقول: نعم.

■ أقول: بلغة السينما فإن الأستاذ رءوف توفيق فى مقال له قد قام بتشبيه ما جرى من أحداث ١١ سبتمبر بأنها مثل الجزء الأول فى فيلم، وأن الجزء الثانى من الفيلم سيحمل عنوان «الانتقام» مع أمنية بأن يحمل الجزء الثالث عنوان: «أمريكا تستيقظ» فهل - فى رأيك - سوف تستيقظ أمريكا؟

- يقول الكاتب الكبير: تلك هى المسألة. فهذه الحادثة تدل على أن القوة وحدها لا تضمن الأمان، وأنه لابد أن يتم ميزان الأمور بالعدل، فأمريكا الآن تفكر فى ضربة ترد لها ما فقدته من هيبة، لكنى أعتقد بعد أن تهدأ الأحوال أن هناك مفكرين أمريكيين سوف يفكرون ويتساءلون حول: لماذا جرى لنا ما جرى؟ ولابد أن يفكروا حول ما يجب أن يغيروه فى أنفسهم. هذا ما أعتقده أو على الأقل هذا ما أرجوه.

■ أمريكا التى لاتملك دليلا على من ضربها سيؤدى قيامها بالانتقام إلى ضرب ضحايا أبرياء.

- نعم.

■ كيف تتخيل سيناريو الانتقام من الفتوة المضروب؟

- فلنترك الفتوات والتخيل و«خلينا فى الواقع الأسود».

نقطة مضيئة

■ أقول:إذن نعود إلى نقطة مضيئة فى الواقع الأسود هى هؤلاء «الرجال» فى فلسطين الذين يرفضون أوزارنا ويستبسلون فى مواجهة جيش الاحتلال على مدى عام كامل، فماذا تقول عن هذا الاستبسال؟

- إن ما يقوم به الفلسطينيون هو عمل هائل، هذه شجاعة لا نظير لها، وقوة تحمل نتمنى أن ينجحوا بعدها فى الحصول على ما يستحقون.

■ بعض المعلقين يشبهون العمليات الاستشهادية بأن الفلسطينيين يملكون بذلك قنابل بشرية، فى مواجهة ما تملكه إسرائيل من قنابل ذرية، فأيهما أقوى فى رأيك القنابل البشرية أم القنابل الذرية؟

– القنابل البشرية أقوى من القنابل الذرية.

■ كلما وقعت ضربة قوية من إسرائيل ضد الفلسطينيين أرى «مروان البرغوثى» أمين سر حركة فتح فى «رام الله» والذى يطلق عليه اسم «مهندس الانتفاضة» أراه على شاشة التليفزيون يكرر: «سوف تستمر الانتفاضة مهما فعل الإسرائيليون» فما رأيك فى هذا الظهور المتكرر من القائد المتحمس رافعا راية الاستمرار رغم أى شىء؟!

– هذا جميل جدا، فالموقف يحتاج لتشجيع، ومادام هو يقوم بهذا التشجيع فإن هذا فى حد ذاته دور شديد الأهمية.

■ هناك دور يقوم به آخرون باللجوء إلى المجتمع الدولى مثلما حدث من إقامة دعوى ضد «شارون» كمجرم حرب بسبب جرائمه فى «صبرا وشاتيلا» فما رأيك فى هذا الدور؟

– إن تغيرت الظروف من الممكن الوصول لنتيجة من خلال هذه القضايا مثلما حدث فى يوغسلافيا.

■ دور الزعيم الفلسطينى الكبير «ياسر عرفات» هو دور تنوعت أشكاله لدرجة أنه قد تعرض فى وقت من الأوقات للعديد من الانتقادات. وهو الآن مع الانتفاضة والحق فى إقامة دولة فلسطين وعاصمتها القدس. فماذا تقول عن «ياسر عرفات» الذى مر عبر أشكال عديدة من الكفاح؟

– «ياسر عرفات» زعيم عربى شديد البأس ومؤمن ونحن ندعو له بالتوفيق.

باكره إسرائيل

■ هل سمعت الأغنية الشهيرة «باكره إسرائيل»؟

- سمعت عنها لأنني لم أعد أجيد السمع الآن.

■ ما رأيك فى أن أغنية «باكره إسرائيل» قد حققت أعلى الإيرادات؟

- لاشك أن دلالة نجاحها هى أن الناس متفقة مع مضمون الأغنية.

■ هل تعلم أن «شعبان عبدالرحيم» المطرب الشعبى الذى غنى أغنية «باكره إسرائيل» قد طلب منه الفرع المصرى لأحد المطاعم العالمية أن يغنى إعلانا لأحد منتجات المطعم، وإذا بالشركة الرئيسية فى أمريكا تقرر وقف هذا الإعلان بسبب أن شعبان عبدالرحيم يغنى ضد إسرائيل، ما تعليقك على هذا الموقف؟

- مادام المطعم إسرائيليا فمن الطبيعى أن يمنعوا إعلانا بصوت من يغنى «باكره إسرائيل».

■ أقول: هى سلسلة مطاعم أمريكية أصلا وليست إسرائيلية؟

- فيختتم الكاتب الكبير نجيب محفوظ الحديث بأن يعيدنا إلى ما تعرضت له أمريكا مؤخرا قائلا:

الأمريكان متآخون مع الإسرائيليين إلى هذا الحد، وبالتالى فعلوا هذا، وهل الكراهية العالمية التى حدثت جاءت من فراغ.



كيف يقرأ «نجيب محفوظ» الآن
أمريكا وبن لادن فى الحرافيش

- من أوجه الشبه بين «بن لادن» و«عاشور» بطل الحرافيش أن كليهما قد اختفى
- «التوت والنبوت» هما «الاقتصاد» و«القوة»، هما «مركز التجارة العالمى» و «وزارة الدفاع الأمريكية»
- الخوف هو أصل البلاء

● ديسمبر ٢٠٠١ ●

أتاحت لى الظروف أن أرى كيف يطل الكاتب الكبير نجيب محفوظ حاليا على ما ينشر فى الصحف من خلال القراءة بعيون آخرين.

أعرف أن الحاج محمد صبرى يأتيه فى الصباح ليُطل من خلال عينيه على أهم ما فى الصحف التى يقرأها عليه يوميا. لكننى لمست حالة الأديب الكبير عند القراءة عليه بنفسى حينما أخبرته ذات مساء أننى قد كتبت مقالا عنه احتفالا بعيد ميلاده التسعين، ولما عرف منى أن عنوان المقال هو «أمريكا وبن لادن فى حرافيش نجيب محفوظ» إذا به يطلب منى أن أقرأ عليه المقال.

ووجدت نفسى أجلس إلى جوار الأديب الكبير الذى سبق أن قرأ أعدادا لا حصر لها من الكتب والمقالات، ولما لم تعد عيناه تسعفانه فى القراءة استبدل بهما أذنيه، فأصبح يقرأ عن طريق الاستماع. أول ما لاحظته على الأديب الكبير هو أننى ما أن بدأت فى القراءة حتى بدت طريقته فى الجلوس تبدو شبيهة بطريقة الجلوس قبل السجود فى الصلاة، إذيضع كفيه على ركبتيه وذراعاه مفرودتان، أما أذنه اليسرى بالسماعة الطبية المركبة عليها فتبدو وكأنها مطلة فى اتجاهى. اقتربت بشدة من السماعة الطبية ورفعت من صوتى وأنا أقرأ، وهو ينصت فى صمت لايقطعة بملاحظة أو بتعليق أو حتى بإبداء الإعجاب إلا مع نهاية كل فقرة وكأنه جالس فى حفل للموسيقى الكلاسيك لا تبدر من المستمع خلال العزف أية همسة، وإنما يحتفظ بما يريده إلى أن يحين وقت الاستراحة بين الفقرات.

كانت أول فقرة فى المقال الذى قرأته عليه تحمل عنوان: «التوت والنبوت، اقتصاد وقوة»، وكان هو منتبها بشدة وأنا أقرأ عليه أن ملحمة الحرافيش تبدأ بأناشيد غامضة منبعثة من «تكية» وأن نجيب محفوظ يصف تلك الأناشيد فى بداية الملحمة بأنها «بهيجة» بالرغم من أنها «غامضة» وأن تلك الأناشيد نفسها هى ما ينهى بها صفحات الملحمة التى تجاوزت الخمسمائة صفحة، مع وصف الأناشيد عند

النهاية بأنها تبدو وكأنها ستفصح عن أسرارها بعد أن تجمع الحرافيش فى مواجهة الفتوة الظالم وتم إسقاط هيبته من أجل أن تولد قوة جديدة تحمى العدل من خلال القوة، وبإرهاصات هذا الميلاد تطل من جديد الأناشيد الموحية القادمة من التكية، تسبقها جمل فخمة مجدولة باقتدار لحلم يبدو كإحدى بشائر أحلام فترة النقاهة التى يكتبها الأديب العظيم بصورة متتابعة مؤخرا.

فيتضمن ذلك الحلم التجريدى الذى يبدو فى الملحمة وكأننا نسمع عبره أنفاس من يحلم مشدوها بما يدور فى الحلم، حيث نرى من يخبره بأن شيخ التكية سيظهر لأول مرة وسيهب لكل حرفوش توت ونبوت، كأنهما طعام وسلاح، كأنهما اقتصاد وقوة، كأنهما الهدفان اللذان تم ضربهما فى أمريكا وهما مركز التجارة العالمى رمز الاقتصاد، ووزارة الدفاع الأمريكية رمز القوة، فمن يضرب له الاقتصاد والدفاع تسقط هيبته ويصاب بهلع؛ وعلى الجانب الآخر فإن من يحصل على «التوت والنبوت» أو «الاقتصاد والقوة» لا يظل حرفوشا.

وما أن أنتهيت من قراءة الفقرة وأنا أشعر بالخوف الشديد انتظارا لمعرفة انطباع صاحب الحرافيش حول هذا التحليل الجديد للرواية حتى فوجئت بابتسامة جميلة على شفتيه اللتين خرجت منهما الكلمات الآتية : «هذه رؤية ذكية وصحيحة»، ثم أضاف أن ما قمت باستخلاصه هنا هو «استخلاصات جيدة وغير متعسفة».

أسطورة بن لادن

طمأنتنى كلماته فتنفست بارتياح وتشجعت على الاستمرار فى القراءة، والانتقال إلى الفقرة التالية فى المقال والتى أتحدث فيها عن «بن لادن» والأسطورة فى الملحمة فقرأت عليه ما يلى :

إذا كانت ملحمة الحرافيش هى نوع من التجلى الضخم للتجريد فى أدب نجيب محفوظ، فإن المتلقى للتجريد عادة ما يفسره ويرى فيه ما

قد لا يراه متلق آخر مما يجعل أحد المتلقين يتوقف أمام جانب من العمل بينما يتوقف متلق آخر أمام جوانب أخرى.

ولقد كانت فكرة «الأسطورة» التى تولد من الخيال ثم تنسجها الشعوب حول شخص ما هى أحد الجوانب التى لم أستطع إلا أن أتوقف أمامها فى الملحمة.

فعندما تتعلق الشعوب بأمل يحلمون به ولا يجدونه على أرض الواقع فإنهم يطلبونه من الخيال. فيلد الخيال أسطورة ينسجونها حول رجل ما.

وهو ما فعله البعض من نسج أسطورة حول بن لادن لأنه قد حقق لخيالهم القدرة على تحدى أمريكا أو الفتوة غير العادل فى الملحمة. وهى الحال التى سجلها نجيب محفوظ كحقيقة راسخة بعد إعلانه نهاية الفتوة الجبار «جلال» فى الملحمة بجملة عظيمة كتبها فى سطر منفصل منهيا بها فقرة. تلك الجملة هى «يذهب الإنسان بخيره وشره. ولكن تبقى الأساطير».

فالأسماء المؤثرة تشغل الناس، فيتحدث البعض عنها باعتبار أن كل ما تحمله هذه النماذج هو الخير الكامل، وعلى النقيض وبحماس شديد يتحدث البعض الآخر عن الجوانب الشريرة فيها. ومن كل هذا يتم عادة نسج أساطير حول الشخصيات المؤثرة، ليصنع منها الخيال الشعبى شيئا مختلفا أحيانا عن الأصل، ولكنه مستوحى منه.

وهو ما صنعه الخيال الشعبى العالمى، فى عالمنا الجديد الصغير من أسطورة حول «أسامة بن لادن».

أما الخيال الشعبى فى ملحمة الحرافيش فقد نسج أسطورة حول «عاشور الناجى الجد»، ثم حول «عاشور الحفيد» ذلك الشاب البسيط الذى تم إبعاده من الحارة فأقام فى حجرة للرحمة بين المقابر، حيث لم يستسلم إنما أخذ يرسم خطة محكمة ضد الفتوة الظالم بهدف تحقيق العدل دون الوقوع فى أخطاء من سبقوه.

اختفاء «بن لادن»
بعين نجيب محفوظ

عند انتهائى من قراءة الفقرة السابقة طلب منى الكاتب الكبير أن أعيد عليه قراءتها فكررت القراءة وقد عاد الخوف إلى نفسى من أن يرى الكاتب نوعا من التعسف فيما كتبت، لكن إذا به يفاجئنى بعد انتهائى من القراءة، ليس فقط بأنه يؤيد وجهة نظرى، بل لقد فوجئت به يتفاعل مع ما كتبت ويتوج رؤيتى بأن يضيف إليها ما يؤيدها من رؤيته هو شخصيا، حيث وجدته يقول لى أن من أوجه الشبه بين «عاشور» بطل ملحمة الحرافيش وبين «بن لادن» هو أن كلا منهما قد اختفى، ولم يتم التوصل إلى مكانه. أشعر أن الدنيا لا تسعنى لأن الكاتب الكبير يتفاعل مع رأيى وأنبهر أمام ذاكرته التى تحلل ما كتبة منذ حوالى ربع القرن.

إسقاط هيبة الفتوة

لكن الكاتب الكبير لا يترك لى فرصة كى أبدى له أي انبهار، حيث طلب منى فى الحال مواصلة قراءة المقال وكأنه يتعجل التهام بقية المقال بأذنه، فرويت عطشه بسرعة بالفقرة التالية حول إسقاط هيبة الفتوة فى ملحمة الحرافيش والتى جاء فيها:

«بعد ضرب أهم ما فى دولة الفتوة بضرب دفاع الفتوة. تم التوجه إلى مركزه الاقتصادى، اقتحموا المخازن ودمروها تدميرا. وفى مخزن الفتوة سماحة رئى «فتح الباب معلقا فى عرق من عروق السقف مدلى الذراعين ففك وثاقه وطرح على الأرض بين الحياة والموت.

ويواصل نجيب محفوظ وصف المشهد «سيطر الحرافيش على الحارة تماما حتى شعشع أول ضوء للنهار، ذعر الناس فى النوافذ والمشربيات وارتفع الصراخ، عند ذلك فتح باب الفتوة سماحة».

ويصف نجيب محفوظ مشهد خروج الفتوة على أهل الحارة بأنه قد وقف أمامهم «بقوته ونبوته»، ولا ينسى نجيب محفوظ أن يضيف إلى تسجيله لظهوره بنبوته أن يسجل أنه قد ظهر أمامهم «بسحره

الخرافى». ثم يكمل نجيب محفوظ أن الفتوة بمجرد ظهوره قد صاح بصوت يصفه الكاتب الكبير بأنه «صوت فاجر» وهو تعبير لا مثيل لروعته هنا حيث القوة الفاجرة التى لا يردعها شىء، فتساءل الفتوة: «ماذا فعلتم يا أولاد الزوانى»؟! ويكمل المؤلف وصف المشهد بأن الحرافيش «لم ينبسوا»، لكن الكلمة التالية التى يصف بها نجيب محفوظ رد فعل الحرافيش هى أنهم: «ولم يتشجعوا».

ونواصل مع نجيب محفوظ متابعة المشهد حيث يتكرر التساؤل من الفتوة، لكنه يصف تكراره للتساؤل هنا بأنه قد تساءل هذه المرة «بوحشية»: ماذا فعلتم يا أبناء الزوانى»؟!

ويرتج المشهد الصامت على هذا الوصف المبهر الذى استخدم فيه نجيب محفوظ «الحجر» ليصف به الصوت الذى رد على الفتوة الهائج. حيث كتب نجيب محفوظ: «فانطلق صوت كالحجر صائحا: جدك كان ابن الزانية».

وإذا بهذا الحجر هو بداية الإشارة إلى أن الفتوة لم تعد له هيبته.

ويكمل نجيب محفوظ مشهد انحسار الهيبة كما يلى: «وارتفع هدير من القهقهات».

وبالطبع فإن الفتوة لا يهتز بسهولة. لذلك يلحق نجيب محفوظ هذه الأصوات بما يلى:

«فوثب الفتوة وثبة قوية ملوحا بنبوته وصاح: اثبتوا إن كان فى أسمالكم رجل».

وتعقب صيحة الفتوة هذا الوصف العميق من نجيب محفوظ: «فانحط الصمت عليهم كصخرة» ثم يلى ذلك بقوله: «ولكن لم يتراجع أحد».

ونواصل متابعة المشهد مع نجيب محفوظ حيث: «وتهيأ الفتوة للانقضاض» وإذا بالمشهد يكتمل بما يلى: «عند ذاك ظهر «فتح الباب» شاحبا مخلخل القدمين وهتف وهو يستند إلى جدار: اقذفوه بالطوب».

إذن فقد بدأ نجيب محفوظ مشهد مواجهة الفتوة «بصوت» وصفه بأنه قد «انطلق كحجر» ثم وصف ارتباك الحرافيش للوهلة الأولى أمام صيحة الفتوة بأن «الصمت» قد «انحط عليهم كصخرة». وإذا بـ «فتح الباب» الضعيف البنية والقوى العزيمة يلهمهم باستخدام أبسط سلاح منتشر فى الحارة بقوله لهم: «اقذفوه بالطوب».

فعبر الحجر والصخرة ثم الطوب بدأت المعركة التى لم تتأجل انتظارا لشراء نبابيت لمواجهة نبوت الفتوة. بل بأرخص سلاح دارت المواجهة وتحقق الانتصار للطوب.

فقد أعقب صيحة «اقذفوه بالطوب» مشهد تلهث له كلمات نجيب محفوظ كما يلى: «سرعان ما انفجر الحرافيش وانهال الطوب على الرجل. توقف هجومه تماما تحت المطر، استبقت الدماء من جراحه حتى تخضب بها وجهه والثياب وترنح متراجعا وهو يخور. أفلت النبوت من يده. تقوض بنيانه فوق عتبة الدار».

الخائفون

بعد الانتهاء من قراءة هذه الفقرة يسألنى الكاتب الكبير نجيب محفوظ: ما الذى استخلصتيه من هذا؟

قلت: إن مواجهة الفتوة القوى من الممكن أن تتم بأبسط الأشياء، بطوب منتشر على الأرض لكنه يصبح سلاحا فى يد حرافيش أعداأدهم كبيرة.

يكرر الكاتب الكبير أن ما قمت باستخلاصه من الملحمة هو استخلاصات جيدة وغير متعسفة وأن الملحمة بالفعل تتحمل أن يستخرج منها ما قمت باستخراجه، ويطلب منى مواصلة القراءة فأقرأ له الفقرة الأخيرة التى تحمل عنوان «الخائفون» والتى تتضمن ما يلى:

مشهد آخر فى ملحمة الحرافيش لهثت فيه حروف نجيب محفوظ ويؤخذ القارئ عند تحويله من صورته المجردة لعلاقة فتوة الحارة على الورق بالضعفاء، إلى صورته الواقعية لفتوة العالم والدول

المتخاذلة على أرض الواقع، وهو مشهد يتضمن إدانة الخيال الشعبى لسقوط حكام الدول الخائفة فى أحضان الدولة الكبرى التى يمثلها فى الملحمة الفتوة أو القوى غير العادل. فيصف نجيب محفوظ اللجوء إلى الفتوة بهدف الحماية وصفا يسجل به حقيقة واقعية، حيث يقول نجيب محفوظ أن الخائف ينسى دائما أن الفتوة يتعامل مع أى أمر باعتبار أن مصلحته فوق كل شيء.

فيأتى على لسان بطل الحكاية الثامنة فى الحرافيش الذى تزوج ابنة الفتوة لمجرد أن يحصل على حماية الفتوة، فإذا بالفتوة بعد فترة قصيرة يأمره بأن يكتب كل أمواله لزوجته، فيتحدث البطل مع نفسه قائلا بأنه «قد حدث له ما حدث بسبب سقوطه فى هاوية الخوف»، ثم يصف الخوف بأنه «أصل البلاء».

كما يقرر أن «الخوف هو الذى جعله يمضى بقدميه إلى وكر الشيطان بلا تفكير سليم».

ثم يعلق على ذلك بجملة عميقة هى: «وكيف يتهيأ التفكير السليم لمنذعر».

وأقول للكاتب الكبير: أما تعليقى أنا على هؤلاء الخائفين، فهو التعليق الذى اختتمت به المقال والذى كتبت فيه: «وكم من منذعر فى العالم مضى بدولته إلى وكر الشيطان ظنا منه بأنه ذاهب للحماية، وإذا به ذاهب للنهاية».

وما أن أنتهى من قراءة هذا التعليق الذى أختتم به المقال حتى يضحك الكاتب الكبير بشدة تأييدا لهذه الخاتمة، ثم لا يكتفى الكاتب الكبير بكل كلماته الرقيقة تعليقا على ما كتبت، وإنما يمسك بالقلم ويكتب لى إهداء على رواية الحرافيش.

فأرى لأول مرة بنفسى كيف أن مؤلف أروع الروايات لم يعد قادرا على الإمساك بالقلم بين أصابعه، ولكنه يقبض عليه فى راحة يده بطريقة شبيهة بمن يمسك بخنجر وإن كان قلمه لم يقتل أبدا، بل

أعاد الحياة للحياة فوق الورق بواسطة الفن والخيال العظيم الذى يجعلنا نتأمل الحياة ونتحمل ما لا يخطر لنا فيها على البال. وهل كان فى حسبان الأديب الكبير نجيب محفوظ الذى كانت القراءة هى واحدة من أعظم المتع التى يستمتع بها فى دنياه أن تأتيه السنون بسنين لا يملك خلالها القدرة على القراءة إلا بعيون الآخرين.



بالتفصيل

كيف يكتب نجيب محفوظ القصص الآن؟

■ محصول الكتابة يأتينى من الأحلام

■ ضعف نظرى لا يسمح لى بقراءة ما أكتب وبالتالى لا أتمكن من إجراء أى تعديل على الورق

■ من حسن حظى أن «سناء البيسى» هى الناشر الذى تسلم قصصى الأخيرة

● يناير ٢٠٠٢ ●

رأيت فى لقاء سابق مع نجيب محفوظ كيفية إمساكه بالقلم للكتابة حاليا حيث يمسك به بين راحة يده وليس بين أصابعه وحدها.

أما فى اللقاء الحالى فقد عرفت من نجيب محفوظ شخصيا كيف يكتب الآن بمعنى كيف تأتيه الأفكار لكى يحولها على الورق إلى رحيق جميل يستمتع به القراء.

البداية كانت ذهابى إليه لأعرف رأيه فيما قاله أحد الكتاب مؤخرا من أن الإبداع عند نجيب محفوظ قد توقف، وأن ما يكتبه مؤخرا من قصص قصيرة جدا ما هو إلا نوع من العلاج الطبيعى ليده بتدريب الأصابع من خلال استعمال القلم.

ولأننى واحدة من ملايين العشاق لقلم نجيب محفوظ، ولأننى من الملايين الذين ينبهرون أمام إيجازه العميق فى قصصه الجديدة التى تحمل عنوان «أحلام فترة النقاهة»، لذلك ذهبت إليه، وما أن قلت له أننى قد جئت من أجل أن نتحدث حول «أحلام فترة النقاهة» حتى شرد وجلس صامتا، لكن ما أن بادرته بإبلاغه إعجابى وإعجاب كل القراء الذين أعرفهم بهذا الشكل الجديد الذى ابتكره فى كتابة القصة بطريقة أقرب إلى اللوحة التجريدية حتى أنارت الفرحة وجهه، وإذا بعملاق الأدب العربى يبدو أمامى كمبتدئ يسمع لأول مرة رأى القراء فى أول أعماله.

ما رأيته بعينى من فرحة حقيقية عبر ابتسامته، وعبر النور الذى ملأ عينيه ووجهه جعلنى أصدق ما كنت أسمعه حول «أم كلثوم» وهى فى قمة مجدها عندما لم تكن تطمئن على أعمالها الفنية حتى آخر أيامها إلا بعد أن تستمع إلى تصفيق الجمهور، وما كنت أسمعه حول أن موسيقار الأجيال «محمد عبدالوهاب» كان يقف خلف الكواليس خائفا مع كل لحن جديد له إلى أن يلمس تجاوب الجمهور مع اللحن.

وهاهو عملاق الرواية العربية يرد على تسجيلى لإعجابى بقصص الأحلام قائلا لى بامتنان مدهش: ربنا يخليكى.

أقول: ويخليك لنا لنظل نستمتع بما منحه الله لك من قدرة على الاستمرار فى إمتاعنا بالمزيد من التألق الأدبى والتجديد والتنوع.

الديمقراطى

ثم طلبت منه أن يعلق على ما قاله أحد الكتاب عبر قناة الجزيرة فرد بترفع الكبير عندما يصفح، والديمقراطى عندما يمارس حق الاختلاف حتى على نفسه، وصاحب الذوق الدائم عندما يحرص على ألا يخطئ، حيث رد فى البداية بإيجاز شديد قائلا:

طبعا كل واحد له رأيه وله رؤيته، ولابد أن نحترم الرأى أيا كان.

ثم أضاف: إنما هناك التباس فى حكاية التدريب، لأننى عندما بدأت العلاج كان يتضمن أن أحرك أصابعى بالكتابة مما يفيد العضلات بشدة. ثم خلال هذا التحريك بالكتابة جاءتنى فكرة أن أصنع من الأحلام قصصا قصيرة. يادوب فى حجم التدريبات، لكنها ليست تدريبات، فتركت التدريبات ودخلت فى الأدب، وأما الحركة التى كنت أقوم بها للتدريب فأصبحت أؤديها فى كتابة أدبية حقيقية، فهى قصص وليست مجرد تدريب.

■ أقول: ألم يغضبك أن ما قيل حول أن قصصك الجديدة هى مجرد تدريبات على الكتابة، هو كلام قد جاء على لسان كاتب معين له علاقة بك؟

– الذى قال هذا الرأى هو واحد من أصدق أصدقائى ونلتقى باستمرار وكل شىء، إنما كل واحد له رأيه، أنا لم أغضب، إنما أسفت أنه لم يلتق معى فى فكرتى، فقط، لكن كل واحد حر فى رأيه، والنقد لا يمس المودة.

المتواضع

■ أنت كعادتك راق جدا عند الاختلاف، وهذه قيمة نتمنى أن نتعلمها منك، فأنت تسعدنا بسلوكك المتحضر مثلما تسعدنا بكتاباتك العظيمة سواء القديمة الواقعية أو الجديدة التجريدية التى أسمع من كلٍّ

من قرأها انبهارا شديدا بكسرك للمألوف وبارتيادك لشكل جديد ملىء بالرمز والإيحاء، وأستأذنك أن أبلغك أن أكثر المعجبين بقصص الأحلام الجديدة هم من الشباب، بالتالى فهى قصص سوف تعيش فى المستقبل بإذن الله.

– أنا سعيد جدا بهذا الكلام، فالكاتب عندما يكتب عملا جديدا فإنه لا يطمع فى أكثر من أن يصادف رضا عند البعض.

■ يا أستاذنا الكبير أنت شديد التواضع. فقصصك الجديدة يستمتع بها غالبية القراء وليس بعضهم، ولهؤلاء الغالبية أريد أن أنقل صورة ندخل فيها معك إلى عالم كتابة قصص الأحلام، فزمان كنت تكتب وتشطب ثم تعود لإعادة الكتابة مرة أخرى، فهل الكتابة والتعديل على الورق أمر مازلت تقوم به عند كتابة قصص الأحلام؟

– لا، ففى قصص الأحلام لم أعد أستطيع العمل بهذه الطريقة التى تتضمن الكتابة والتعديل بعد الكتابة لأننى لم أعد أرى جيدا. فضعف نظرى لا يسمح لى بقراءة ما كتبته بعد الانتهاء منه، بالتالى لا أتمكن من إجراء أى تعديل على الورق.

فالطريقة المتاحة لى الآن هى أن أكتب فى عقلى وأقوم بالتعديل فى عقلى أيضا قبل أن أكتب على الورق. هذا التعديل فى عقلى قد يتكرر مرة أو اثنتين أو عدة مرات إلى أن أستقر على ما أريد فأحفظه وأكتبه.

■ أظن أن هذه الطريقة فى التصحيح داخل العقل أصعب من التصحيح على الورق.

– طبعا، فالتصحيح على الورق أسهل بدون شك.

■ هل قصص «أحلام فترة النقاهة» هى أحلام حقيقية أم هى رؤية فى اليقظة؟

– هى فى الأصل حلم حقيقى، سأروى لك مثلا يوضح كيف تأتينى

فكرة قصص أحلام فترة النقاهة. مثلا أنا حلمت مؤخرا أني جالس مع مجموعة نستمع إلى الشيخ زكريا أحمد. وهذا المشهد كان له أصل في الحياة، فأعجبتني الفكرة وسرت فيها إلى أن وصلت إلي رجل معلق من ساقيه بينما رأسه يصل إلى «مية نار» ولا أحد يشعر به، عندما وصلت إلى هذا شعرت بارتياح إلى أن هذه القصة قد صارت شيئا متكاملا، وبدأت أكتبها، إلى أن انتهيت من كتابتها في قعدة واحدة. لأنني لا أستطيع أن أكتب لمدة أكثر من ربع ساعة أو نصف ساعة.

فالبداية الآن هي الحلم، ولو لم يكن هناك حلم لا تكون هناك كتابة. وأحيانا يأتي الحلم لكن لا يوحي بقصة فلا أكتبه.

الدءوب

■ إذن نستطيع أن نقول أن الأديب الكبير نجيب محفوظ بعد أن كانت فترة التجهيز للكتابة عنده على مكتبه بعد الظهر، فإن فترة التجهيز للكتابة قد أصبحت الآن في الفراش ليلا.

يضحك ثم يضيف: فما كنت ألتقطه من الحياة والواقع الذي حولي، أصبحت ألتقطه من الحلم، لأنني الآن لم أعد قادرا على أن أتصل بالواقع، ولم أعد قادرا على أن أتحرك مثل زمان ولا أذهب إلى المقاهي والجلسات التي ألتقط منها أفكار أعمالي.

■ هل معنى هذا أنك عندما تمر عليك ليال بلا أحلام فإنك تستيقظ حزينا؟

يرد نجيب محفوظ مشبها الأحلام بأنها «المحصول» باعتبار أن إنتاجه يأتي من الأحلام فيقول: طبعا عندما لا يكون هناك محصول من الأحلام فلا تكون هناك كتابة.

■ أقول: تضمنت رواياتك القديمة بعض الأحلام. فهل كانت أحلاما حقيقية أم أحلاما مؤلفة؟

– كانت أحلاما في الغالب مؤلفة، بأن تحلم شخصية من الشخصيات بما يليق مع سياق القصة، وقد يكون بعضها من مدخر

أحلامي ووجدته مناسبا للقصة، إنما أغلبه مؤلف.

■ تضمن أول حلم من قصص «أحلام فترة النقاهة» رجلا يبحث عن مطعم. هل تتذكر رؤيتك للرمز في تلك القصة؟

- هذا إنسان يبحث عن طعام أو يبحث عن زوجة أو يبحث عن حياة جيدة، كما أن لها معنى سياسيا، إنما يصح أن يفسر القارئ القصة نفسها تفسيرا مختلفا. فميزة الرمز في الأدب هي أن يحول القارئ إلى مبدع فيتصور المعنى من خاطره.

أعلق على ما ذكره نجيب محفوظ قائلة:

إذن هذا هو أحد الأسباب التي تجعل القارئ يندمج مع قصص أحلامك، فعن طريقها لم تكتف بإسعادنا بإبداعك، وإنما تحرضنا نحن أيضا على أن نبدع عن طريق قراءة إبداعك.

ثم أسأله: لكن لماذا كان هذا الحلم بالذات هو المحرك لك لكي يكون أول قصة في الأحلام؟

- فيروي لي الكاتب الكبير أصدق ما يمكن أن يرويه أديب حول صراعه مع طاقاته من أجل أن تعانق كلماته الأوراق قائلا لي:

أنا عندما لم يعد بصري يسعفني ولا سمعي لكي أتلقى من منابع الإبداع فيما حولي عشت في معاناة بسبب ما بداخلي من رغبة شديدة في أن أكتب. فكنت أسأل نفسي طوال الوقت: كيف أكتب؟

ويردد الكاتب الكبير بأسى الجملة التي كانت تحيره فيكررها ثلاث مرات «كيف أكتب؟ كيف أكتب؟ كيف أكتب؟» كأنه يسترجع حيرته في تلك الفترة ثم ينتهي مما يرويه عن رحلته مع الحيرة إلى وصوله إلى ما يشبه صرخة المكتشف: «وجدتها». فقد قال لي نجيب محفوظ: إلى أن وجدت أن هناك واقعا لم يتمكن العجز من إبعاده عني، هذا الواقع هو «الحلم». فقفشت فيه.

كلمة «قفشت فيه» هي بالضبط الكلمة التي استخدمها الكاتب الكبير في وصفه لما فعله عند عثوره على أن «الحلم» من الممكن أن يكون

منبعا للكتابة الأدبية حيث يرى فيه ويسمع بعد أن أصبح لا يرى ولا يسمع جيدا فى «الحقيقة»، فهو لم يقل «وأمسكت به» وإنما قال: «قفشت». بكل ما تعنيه الكلمة من تشبث شديد بما عثر عليه وبكل ما توحى به من خوف على أن يضيع منه الأمل الذى تعلق به. أما أنا فقد كنت أتأمل بإعجاب شديد إيمانه بأهمية مواصلة العمل حتى آخر وقت فقلت له:

أنت تعطى للناس قيمة جميلة هى أهمية الاستمرارية والتفاؤل. فأنت لم تستسلم أمام ضعف النظر والسمع، وإنما بحثت عن سبيل إلى أن اكتشفته فى الحلم.

وإذا بالكاتب الكبير يرد ردا لم يخطر لى على بال قائلا:

ومن حسن حظى وجود الأستاذة سناء البيسى وتحمسها لنشر قصصى الجديدة، فقد كان من الوارد أن أقدم هذه القصص بما تتضمنه من رؤية جديدة لناشر آخر ويكون رأى هذا الناشر الآخر من رأى الأستاذ يوسف القعيد ويقول لى هذه ليست قصصا.



نجيب محفوظ يعلن بحماس:

- في فلسطين ثورة وليست انتفاضة
- استخدام الإعلام الأمريكي لتعبير «العنف المتبادل» يدل على أنهم ليسوا شهود عدل
- أفضل تعبير «عملية استشهادية» وليس «عملية انتحارية»
- إسرائيل خرجت عن القواعد والأصول وجاوزت كل الحدود

● يناير ٢٠٠١ ●

أذهب إلى أستاذنا الكبير نجيب محفوظ كي أهنئه باقترابه من بداية العام التسعين من عمره بعد أيام، وفي ذهني أن تتضمن تهنئتي له باقة أسئلة تحت عنوان «ضحك ولعب وجد وحب»، لكن ما حدث تلقائيا خلال لقائي به هو أن الجد قد أخذ الصدارة في الحوار، ولم يكن «الجد» الذي تصدر الحديث سوى الانتفاضة الفلسطينية.

كنت قد سألته في بداية لقائي به في منزله بالعجوزة عما إذا كان قادرا على متابعة أخبار الانتفاضة الفلسطينية، أم أن ضعف بصره يمنعه من قراءة الصحف ومشاهدة التليفزيون، وضعف سمعه يمنعه من الاستماع إلى المذياع.

فرد قائلا: أنا أتابع بقدر ما أستطيع، حيث أسمع كلمة من صديق، ويقرأ لي أحد بعض الأخبار، فأنا حريص على متابعة ما يحدث.

■ ماذا تقول عن الشباب الفلسطيني الذي يواجه الرشاشات والدبابات بقطعة حجر؟

– لاشك أنهم أبطال لا نظير لهم في التاريخ.

■ إلي أي مدى تتصور أن يستمر صمود «الحجر» في «مواجهة الترسانة العسكرية الإسرائيلية؟

– الحجر هو السلاح للفلسطينيين حاليا، ونرجو أن يتحقق لهم ما يريدون من إنشاء الدولة وعاصمتها «القدس» وأن تكون هذه هي الخاتمة المعقولة للجهاد.

■ أومن على ما يقول رافعة يدي بالدعاء مرددة: يا رب.

ثم أقول له: لقد انتصرت المقاومة اللبنانية على إسرائيل من خلال العمليات الفدائية على الرغم من كل التسلح الإسرائيلي، فهل هذا يعطي أملا؟

– يرد: بالفعل، هذا يعطي أملا، لأن الحالة متشابهة من حيث الصمود، فلقد صمدوا في الجنوب اللبناني صمودا غريبا إلى أن اضطر الإسرائيليون إلى أن ينسحبوا ويتركوا لبنان.

■ هل البشر والإيمان من الممكن أن يكونا أقوى من الأسلحة

الإسرائيلية الثقيلة؟

– البشر والإيمان قوة أكبر من أى سلاح.

■ ماذا تقول عن المرأة الفلسطينية التى تتحمل فراق الأبناء بالاستشهاد؟

– الأم الفلسطينية امرأة قديسة وشجاعة لا نظير لها فى الأمهات.

■ على الرغم من كل الوحشية التى تواجه بها إسرائيل الانتفاضة، إلا أن الإعلام الغربى وبالذات الإعلام الأمريكى يستخدم ألفاظا مضللة، فيطلق على ما يجرى من أحداث فى الأرض المحتلة تعبير «العنف المتبادل» وكأنه يساوى بين الحجارة وبين الرشاشات والدبابات، فما تعليقك على هذا التضليل الإعلامى؟

– هذا يدل على ميل خاص إلى إسرائيل، وأنهم ليسوا شهود عدل، وأنهم ليسوا على الحياد.

■ ونحن فى مجال الاستخدام الدقيق للكلمات، أود أن أشير إلى أننا قد اعتدنا أن نستخدم تعبير «عملية انتحارية» على العمليات الفدائية التى يخرج فيها الفدائى لإنجاز عمل ضد العدو، وهو يعلم أن هذا العمل يؤدى إلى الموت، أما الآن فهناك حرص على استخدام تعبير «عملية استشهادية» وليس «عملية انتحارية» باعتبار أن من يقوم بمثل هذه العمليات يقوم بها بدافع الرغبة فى الاستشهاد وفى أن يلقى ربه مدافعا عن الحق، فأى التعبيرين تفضل؟

– أفضل تعبير «عملية استشهادية».

ثــورة

■ بعد كل هذه المدة من الانتفاضة، وكل هذا الإصرار وكل هذه التضحيات هل نظل نطلق عليها كلمة «انتفاضة» أم «ثورة»؟

– هى «ثورة». ما هى الثورة؟ هى انتفاضة ترمى إلى تغيير وضع وإحلال وضع جديد مكانه. إذن ما يجرى الآن فى فلسطين هو «ثورة» وليس مجرد «انتفاضة».

■ إذا كنت قد شهدت ثورة ١٩١٩ فى مصر مع بدايات القرن

الماضى، فما الفرق بينها وبين ثورة فلسطين حاليا؟

- فى ثورة ١٩١٩ لم تكن هناك الوحشية من الطرف الآخر التي تصل إلى إلقاء القنابل على المدن، وتخريب البيوت، وما إلى ذلك.

ولقد قلت هذا فى وجود مجموعة، فإذا بشخص يرد عليَّ ويظن أننى أدافع عن الاستعمار الإنجليزى، وأخذ يعلمنى مضار الاستعمار التى سمع عنها، ويقولها لو أحد رآها وعانى منها وسار فى بعض المظاهرات وتربى فيها، فأنا آسف جدا لفكرنا، «ففكرنا» أيضا يحتاج إلى «ثورة»

■ للأسف أن البعض يميع القضايا ويفتتها بدلا من أن يتركنا نناقش القضايا الحقيقية، فهذا الذى تروى عنه يشبه التفتت والدخول فى قضايا وهمية حول ما تذيعه مثلا قناة «الجزيرة» بدلا من الانشغال بقضيتنا الأساسية لكن إذا كان هناك من يفتتون الاهتمام بالقضايا إلا أن هناك من يتفاعلون بشكل إيجابى مع الأمور مثل الطفل المصرى أحمد الشعراوى الذى لم يتجاوز عمره ١٤ سنة، ومع ذلك فقد سافر فى اتجاه الحدود المصرية الفلسطينية ليشارك فى الانتفاضة، لكن والده استطاع أن يعيده من على الحدود.

كذلك فتاة مصرية اسمها «نادية مبروك» أعادها والدها بالطريقة نفسها. فما تعليقك على هاتين القصتين؟

- هما دليل على أن الحماس قد شمل حتى أطفالنا.

■ المفروض أن يلعب الأطفال وأن يستمتعوا بالحياة، لكن هذا غير متاح لأطفال فلسطين الذين يدفعون ثمن ما تقوم به إسرائيل، وعلى ذكر اللعب فإننا لو نظرنا على مستوى القضية الفلسطينية، فإننا نجد أن الموقف الآن مع إسرائيل أصبحت اللعبة فيه بلا قواعد. فهل تتفق معى فى هذا الرأى؟

- يرد بغضب: أنا أرى أن القوات الإسرائيلية قد خرجت عن القواعد وعن الأصول المتبعة وجاوزت كل الحدود.

الروايات والإنترنت

■ نشرت بعض الصحف أنه قد تم شراء حق نشر روايات الأستاذ نجيب محفوظ لنقلها على الإنترنت فى مقابل مليون جنيه. إلى أى مدى صحة هذا الخبر؟

- الخبر صحيح، فقد أخذت دار الشروق كل أعمالى على الإنترنت، وأنا لا أعرف شيئا عن الإنترنت، ولا مثل هذه الوسائل الحديثة، فلقد جرى لى ما جرى من ضعف فى النظر والسمع منذ سنوات، فلم أتابع ما حدث من تطور علمى، وبالتالى فأنا لا أعرف لماذا أخذوا أعمالى على الإنترنت، ولا كيف سيستعملونها ولا أى شىء.

نضحك معا فيؤكد أستاذنا الكبير: بالفعل أنا لا أعرف هذا العالم الجديد. فكما تعلمين أنا منذ عُشر سنوات لم أعد أقرأ حتى المجلات.

(ثم يضيف بابتسامة أسرتنى، وبكلمات ودودة قائلا):

- إلى درجة أننى قد وحشتنى جدا مجلة «صباح الخير» على سبيل المثال.

■ أقول باستحياء وفرحة: نحن الذين اشتقنا إلى كلماتك الرائعة على صفحات «صباح الخير».

- فيؤكد بشوق صادق فى صوته: صدقينى، لم يكن يفوتنى أى عدد من مجلة «صباح الخير».

■ أرد بخجل ومحبة: هذا شرف كبير لنا نحن.

الحرافيش

■ ومن وسط شعورى «باللخبطة» أمام فيض الذوق من كاتبنا الكبير أتشعلق فى «الحرافيش» وإذا بالحرافيش يعودون بحوارنا إلى الجد وإلى الانتفاضة الفلسطينية حيث سألته: هل جلسات الحرافيش مازالت مستمرة؟!

- فرد: عددنا أصبح قليلا جدا، توفيق صالح، ويحيى الرخاوى وبهجت عثمان، وجميل شفيق.

■ أين يتم اللقاء حاليا؟
- فى بيت توفيق صالح.
■ هل تذكر ما دار فى آخر لقاء للحرافيش؟
- الجلسة عادة ما تكون متنوعة، إنما بالطبع فى ظل هذه الظروف التى نمر بها، فإن المسألة الفلسطينية تستولى على لقائنا من بدايته وحتى نهايته.
■ أقول: هل جلسة الحرافيش لم تعد تتضمن الضحك والسخرية كما كانت زمان؟
- يقول: لم يعد أحد لديه مزاج للضحك، والأحداث التى تمر لا تجعل الضحك يخرج.

حـب

■ أشفق من زحف الحزن مرة أخرى على ملامح أستاذنا الكبير فأنتقل إلى أسئلة الحب، وإن كانت حتى أسئلة الحب أمامى مختلطة بالخيانة أحيانا وبالسياسة أحيانا أخرى، فهى أسئلة أقرب إلى حالة العلاقة بين الرجل والمرأة الآن التى لم يعد الحب فيها هو السيد فأقول:

إذا كان بث روايات أديبنا الكبير على الإنترنت يعنى نقلها للعالم كله. فهناك رأى أن أشهر أبطالك وهو «سى السيد» يعتبر نموذجا لأغوار الرجل ليس فى مصر فقط وإنما فى الدنيا كلها.

- يقول: لم يعد هناك سى السيد الآن.

■ أقول: بل مازال سى السيد موجودا، ولكن داخل الرجل الذى يذوب فى علاقات مع نساء غير فاضلات بعيدا عن زوجته.

إنما الزوجة هى التى لم تعد «أمينة» التى تقبل وتستسلم.

و(أضيف): ولو نظرنا على مستوى العالم فسنجد أن الأميرة «ديانا» لم تستسلم لخيانة «تشارلز» فبادلته الخيانة بالخيانة.

أما هيلارى زوجة «كلينتون» التى تصور البعض أنها الزوجة المستسلمة لخيانة «سى كلينتون» زوجها على الرغم من صيت فضيحته

الشهيرة مع «مونيكا»، إلا أن الأيام أثبتت أن صمتها لم يكن استسلاما وإنما كان تخطيطا للمستقبل إلى أن نجحت مؤخرا فى الحصول على مقعد بمجلس الشيوخ، فاقتربت بذلك من السلطة بينما تنتهى فترة رئاسة السيد كلينتون. أى أنها تزداد قوة، ويصبح هو فى وضع الأضعف.

– ترن ضحكة الأستاذ نجيب محفوظ ويأتى صوته على طريقة القفشات من وسط الضحكة قائلا: هذه سيدة أقوى من مائة سيد.

■ أضحك معه وأقول: أيضا في مصر مازال الرجل بداخله «سى السيد» لكن المرأة هى التى لم تعد «أمينة» التى تقبل علاقاته المتعددة، والنتيجة هى ازدياد معدلات الطلاق فى مصر، حيث يفسر الكثيرون زيادة الطلاق فى مصر بأن الرجل مازال «سى السيد» بينما المرأة لم تعد «أمينة».

- يقول بعد تفكير: أعتقد أنه فيما يتعلق بالعلاقة الزوجية فإن كل حالة لها ظروفها، وكل امرأة لها طبيعتها، وكل رجل له طبعه. ولا يجب إعطاء أحكام عامة فى مثل هذه الأمور لأن كل زوجين يصنعان قصة متميزة عن الأخرى.

■ أقول: أنا معك فى أن العلاقة بين الرجل والمرأة لا تحكمها قواعد عامة، لكن هذا لا ينفى أنك قد استطعت بعبقرية شديدة أن تصور أغوار شخصية الرجل الذى يثبت لنفسه أنه «قوى» عن طريق التسلط وعن طريق تعدد العلاقات مع غير زوجته وهو نموذج مازال موجودا على الرغم من فرق التفاصيل والمظاهر.

– يتساءل بتواضع: «كده»؟

■ أؤكد قائلة: بالفعل.

– يتأمل ثم يقول: «ربما أن أمينة أقوى من سى السيد».

■ هذه المرة أنا أتساءل: كيف؟

– يرد بفلسفة عميقة: لقد حملته هى فى الآخر.

■ أكتشف من كلماته ما لم أدركه من قبل فى الثلاثية التى كررت قراءتها كثيرا، فلا أملك سوى أن أتمتم وكأننى أسترجع مع نفسى ما سبق أن قرأت. فأقول: آه.. صح.

– فيكمل هو: ولم يعد «سى السيد» فى النهاية يعرف الدنيا إلا عن طريق «أمينة».

مصدر التعب

وبتأمل أستاذنا الكبير نجيب محفوظ فى دنيا أشهر شخصياته أطلب منه أن ننتقل إلى التأمل فى دنياه هو شخصيا مع اقترابه من بداية العام التسعين من عمره. فأطلب منه أن يروى لنا كيف يتأمل ما مضى من سنوات عمره، فيقول بنبرة تعب فى صوته لا أعرف هل مصدرها أن سؤالى هذا يعنى مواجهة مع النفس، والمواجهة متعبة فى هذه المرحلة من العمر وفى كل المراحل أم أننى قد أطلت عليه بالفعل فبدأ يشعر بالتعب.

حيث قال لى:

– أنت الآن تطرحين على أهم سؤال فى العمر وأنا أشعر الآن بالتعب بعد حوارنا الطويل.

أخاف أن أكون بالفعل قد أرهقته فألملم أوراقى فورا.

يظن أنه أحرجنى فيضحك وهو يقول لى: هل تعرفين كيف استطعت الصمود أمام أسئلتك الطويلة؟

أصمت وأبتسم له فى انتظار التفسير. فيرد ببساطة ابن البلد وفى الوقت نفسه بفلسفة الذى يحرص على إعادة الأمور المهمة إلى بؤرة الضوء، فيعيدنى إلى حيث بدأنا قائلا: هذه هى بركة الانتفاضة. ثم يبتسم معى بأمل وأنا أقول: كل انتفاضة وفلسطين بخير.



نجيب محفوظ فى استقبال الألفية الثالثة:

- سقوط الاتحاد السوفييتى أهم إنجازات القرن
- «الأطلال» أحسن أغنية فى المائة عام الماضية
- أحمد رامى هو الشاعر الذى جعل للغناء معنى
- أم كلثوم «معنى» و«مغنى»

● ديسمبر ١٩٩٩ ●

عناوين الصحف المتكررة عن علة الكمبيوتر ومشكلة الصفرين التى يواجهها العالم مع مطلع القرن وعام ٢٠٠٠، تدفعنى أن أبدأ حوارى مع الكاتب الكبير حول القرن الذى يمضى والقرن الذى يطل بسؤال عن المفارقة فى استقبال الإنسان للقرن الجديد بقضية لم تخطر على البال من قبل وهى مشكلة الصفرين، فإذا بالكاتب الكبير هو الذى يبادرنى بسؤال ملىء بالدهشة قائلا: «وما حكاية الصفرين هذه؟»

■ قلت: الصفرين فى الكمبيوتر.

– رد بالدهشة نفسها وبصيغة التساؤل نفسها: أنا لم أفهم المقصود بالصفرين فى الكمبيوتر.

أخذت أشرح له المشكلة التى تنشأ فى أجهزة الكمبيوتر التى كانت تتعامل مع عام ١٩٩٩ باعتباره ٩٩ وإذا بها عندما تقابل عام ٢٠٠٠ فيتحول الرقم إلى «٠٠» أى صفرين.

فتساءل الكاتب الكبير: وما المشاكل التى تترتب على هذين الصفرين؟

– قلت له: لو وصلنا إلى النتائج سنجد أن مواجهة هذه المشكلة تترتب عليها خسائر تصل إلى ١,٢ تريليون دولار على مستوى العالم.

– تزداد دهشة الكاتب الكبير ثم يعترف: أنا لا توجد عندى أية فكرة عن الكمبيوتر وكيفية عمله.

■ أقول (فى محاولة لتحويل المشكلة العلمية إلى قضية فلسفية تثير حب الكاتب الكبير للفلسفة): ألا ترى فى هذه المشكلة مؤشرا إلى «مارد» صنعه الإنسان وجعله فى خدمته، ثم تمرد عليه المارد.

– يرد الكاتب الكبير: أنا مازلت غير قادر على استيعاب مشكلة الكمبيوتر.

ثم يضيف بصيغة تقريرية: أنا من جيل ما قبل الكمبيوتر.

وكأن الكاتب الكبير بهذه الجملة التقريرية يفصل فى الدنيا بين

زمن ما قبل الكمبيوتر، وزمن ما بعد الكمبيوتر مع مرحلة جديدة من الزمان.

«أم كلثوم» و«الأطلال»

أقول له: إذن فلنحاول أن نسمع من كاتبنا الكبير تقييمه لإحدى روائع الزمن الذى عاش فيه، فأخبره بأن أغنية «الأطلال» لسيدة الغناء العربى «أم كلثوم» قد تم اختيارها فى استفتاء لجريدة التايمز باعتبارها واحدة من روائع الفن فى القرن العشرين.

ينتعش الكاتب الكبير مع ذكر اسم «أم كلثوم» باعتباره من كبار عشاق صوت «كوكب الشرق»، وكأن ذكر «أم كلثوم» هو كلمة السر التى تعيد الكاتب الكبير إلى «زمنه»، وتنقذه من أسئلة زمن الكمبيوتر الذى هو ليس من زمنه.

تنفرج أسارير الكاتب الكبير وهو يتأكد بحنين مما سمعه منى.

فيسألنى: تقولين أن اختيار الأطلال لأم كلثوم قد جاء فى جريدة التايمز؟

أرد بالإيجاب.

ثم كأنه بالحنين نفسه يريد أن يتأكد مما تبقى فى ذاكرته من أحد أحب الأشياء إلى سمعه فيسألنى: أليست «الأطلال» هى الأغنية التى تقول فيها أم كلثوم «هل رأى الحب سكارى مثلنا» وعندما يرى من خلال هزة رأسى علامة الإيجاب التى يخشى من شدة اهتمامه ألا يلتقطها سمعه جيدا حتى تزداد على وجهه علامات الحنين إلى أيام الاستماع لصوت أم كلثوم.

وما أن أسأله عما إذا كان يحب أغنية الأطلال أم لا، حتى يرد بابتسامة مستمع قديم لطالما انتعش بالصوت واللحن والكلمات قائلا: عندما كانوا يسألوننى عن أكثر ما أحب الاستماع إليه لأم كلثوم كانت إجابتى تأتى دائما بأنها أغنية «الأطلال».

■ أسأل: وما أكثر مقطع من أغنية الأطلال تحب الاستماع إليه؟

- يرد بحنين: أين أيام الاستمتاع بصوت أم كلثوم؟ ثم يضيف بتأثر: أنا لمدة عشر سنوات كاملة «ويضغط على حروف كلمة كاملة» ثم يعيد الجملة من بدايتها مرة أخرى مكملا بقية كلماتها قائلا: عشر سنوات كاملة وأنا محروم من الاستماع للأغانى بسبب ضعف السمع عندى، مما أدى إلى أننى لم أعد أتذكر الكلمات التى كنت أستمتع بها فى وقت من الأوقات.

■ أحاول أن أنشط ذاكرة الكاتب الكبير فأقول له أن مطلع أغنية الأطلال تقول فيه أم كلثوم عن الحب: «كان صرحا من خيال فهوى». ثم أسأله هل الحب يكون دائما صرحا من الخيال فيهوى؟

- فيرد: كثير منه.

■ أقول: وما الذى يجعله لا يهوى؟

- يقول: قوته وسلامة طوية من يمارسونه.

■ مستمرة فى محاولة تنشيط ذاكرته فأسأله: ما رأيك فى الحكمة التى يختتم بها الشاعر إبراهيم ناجى قصيدة «الأطلال» وهى «كل شىء بقضاء ما بأيدينا خلقنا تعساء»؟

- هذا المعنى صحيح، لكن لابد من أن ننادى أسباب القوة والعزم داخلنا.

■ أقول: ذكر الكاتب الكبير الراحل مصطفى أمين من قبل أن أجمل مقطع فى أغنية «الأطلال» هو «أعطنى حريتى أطلق يديا» ما رأيك فى هذا المقطع؟

- يرد: من الواضح أن مصطفى أمين تعامل مع هذا المقطع باعتبار أن معناه منطبق على حالته عندما كان سجينا.

■ أى أم كلثوم أحب إليك؟ أم كلثوم مع السنباطى، أم مع محمد عبدالوهاب أم مع بليغ حمدى أم مع القصبجى أم مع من؟

- أحب أم كلثوم وكل هؤلاء الملحنين أحبهم، بالإضافة لها، لكن من غير الممكن عمل مقارنة بين السنباطى ومحمد عبدالوهاب وزكريا

أحمد والقصبجي، فكل منهم قمة بلاشك.

■ فى رأيك ما الذى أضافه أحمد رامى لأم كلثوم؟

– الحقيقة أن أحمد رامى من الأسس التى قامت عليها أم كلثوم لأن الأغانى قبل رامى وأم كلثوم كانت على الرغم من جمالها من ناحية الصوت، إلا أن الكلام فيها لم يكن فى مستوى الصوت. فمثلا كان من النادر أن نجد لمنيرة المهدية كلمات أغنية توازى صوتها الممتاز «الملعلع»، فكنا نسمع صوتا جميلا لكنه يغنى «حود من هنا وتعالى عندنا» أو «بعد العشا يحلا الهزار والفرفشة» فلم تكن كلمات أغانيها فى مستوى صوتها الجميل، إنما أم كلثوم «معنى» و«مغنى»، فقد غنت لقمم مثل أحمد شوقى وهو واحد من أحسن شعراء العصر.

■ مع ما شدت به أم كلثوم من قصائد رائعة باللغة العربية الفصحى، ماذا أعطت الفصحى لأم كلثوم وماذا أعطت أم كلثوم للفصحى؟

– اللغة العربية الفصحى أعطت لأم كلثوم امتيازا، وأم كلثوم أعطت للفصحى جمالا لأن نطق «أم كلثوم» للغة العربية الفصحى كان نطقا صحيحا، وكانت الجملة أو اللفظ على لسانها تدخل إلى العقل سالمة تماما من أى اضطراب أو من أية «لكلكة».

أجمل الأعمال الفنية

■ إذا كانت قصيدة «الأطلال» لأم كلثوم قد تم اختيارها كواحدة من أهم الأعمال الفنية فى القرن العشرين فى استفتاء عالمى فما الذى يختاره نجيب محفوظ من الأعمال الفنية فى القرن العشرين؟

– هناك أعمال كثيرة تجعلنى لا أستطيع اختيار عمل واحد، ففى المسرح مثلا أختار «فى انتظار جودو» لبكيت، فقد قلبت المسرح رأسا على عقب. هناك أيضا «مائة عام من العزلة» لجارسيا ماركيز، كذلك «البحث عن الزمن المفقود» لبروست، وربما أيضا «العجوز والبحر» لهيمنجواى، فهناك أعمال أدبية كثيرة وجميلة. أما فى الموسيقى فأنا

لا أتابع سوى الموسيقى فى مصر، ومن مصر أختار أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب.

■ ما اسم أهم إنجاز علمى فى رأيك خلال القرن العشرين؟

– فى العلوم أنا غير متخصص، لكن دائما يتحدثون عن النسبية والاحتمالية باعتبار أنهما قد غيرتا نظرتنا للكون.

■ وما أهم إنجاز إنسانى؟

– ربما سقوط الاتحاد السوفيتى والدرس الذى أعطاه هذا السقوط للناس، فقد سقط رغم أنه لم يهاجم ولم ينهزم فى حرب، وكان فى عز قوته، فأعطانا درسا هو أن القوة وحدها لا تكفى، وأن الصواريخ والقنابل النووية وحدها لا تكفى.

فقد هوى الاتحاد السوفيتى كأنه بناء من «كارتون» فى الوقت الذى كان معروفا عنه أنه إحدى القوتين العظميين.

■ أعلق: كان صرحا من خيال فهوى؟

– يضحك ويؤكد قائلا: صح.

■ بسقوط الاتحاد السوفيتى وانتهاء مرحلة الحرب الباردة، دخلنا فى مرحلة النظام العالمى الجديد. فما تعليقك عليه؟

– النظام العالمى الجديد الذى دخلنا فيه، أصبح موضع مراجعة، لأن البلاد التى اقترحته يثور شبابها عليه، فيبدو أنه نظام يحتاج إلى مراجعة.

■ هل تعتقد أن النظام العالمى الجديد، سيصبح بسرعة قديما؟

– لا. لن يصبح قديما بسرعة. والظاهرة التى لا يمكن أن تتراجع فيه، وربما تزداد هى المعلومات، فكيف أدت الوسائل الحديثة من كمبيوتر وإنترنت ومحطات فضائية إلى أن يصبح العالم كله قرية واحدة من حيث الخبر والمعلومات، هذا أمر لا تراجع فيه.

■ كيف يمكن قراءة كف القرن الواحد والعشرين؟

– أظن أنه سيكون قرن المعلومات والتقدم العلمى واحترام حقوق

الإنسان. هذه هى النظرة المتفائلة.

■ وماذا عن النظرة غير المتفائلة؟

– ربما يصبح عصر الثورات بين الفقراء والأغنياء الذين يملكون الإنتاج.

■ عند بلوغ عمر ٢١ سنة نقول عن الشخص أنه قد بلغ سن الرشد. فهل تعتقد أن الإنسانية ستبلغ سن الرشد مع القرن الواحد والعشرين؟

– عندما تتوقف الإنسانية عن قتل نفسها تكون قد وصلت إلى سن الرشد.

■ ما الفرق بين يوم ويوم، وما الذى يجعل اليوم مع استقبال عام جديد أو قرن جديد مختلفا عن اليوم العادى؟

– الأمل فى أن يكون الغد أفضل من الأمس.

لعب وغش

■ تمتاز إجابتك عادة بالتفاؤل، هذا يذكرنى بما كتبه أحد الكتاب عام ١٩٩١، حيث «فنط» الرقم وقال «١+٩=١٠»، «٩+١=١٠» ثم قال إذن هذا عام عشرة على عشرة، وبالتالى أعتبر أنها ستكون سنة جميلة، فكيف نفنط الآن رقم «٢٠٠٠»؟

– يقول: اثنان يساوى ثلاثة أصفار «ثم يضحك».

■ أقول بمناسبة «تفنيط» الأرقام الشبيهة بتفنيط أوراق الكوتشينة من الولد الذى كان «يقش» فى القرن الماضى؟

– هذا يتوقف على علمه، وعلى الدولة التى ينتمى إليها، قد يكون حاكما وقد يكون عالما. والولد كان «يقش» فى القرن الماضى، وسيستمر «يقش» فى القرن القادم.

■ ومن «الشايب» الذى لا داعى له فهو مجرد ورقة؟

– لا يوجد أحد مجرد ورقة، فالشايب من الجائز أن يحقق «بصرة» أليس كذلك؟

■ صح. ومن السبعة الكومى؟

– ماذا تفعل السبعة الكومى. أنا نسيت!

■ نحصل بها على بصرة
– هذا هو الحظ الحلو.
■ هل مازالت هناك قواعد للعبة في حياتنا بشكل عام؟
– كل شيء له قواعد.
■ والغش، أيهما أصبح هو السائد فى حياتنا، اتباع قواعد اللعبة، أم الغش؟ أنا مثلا عندى طفلان، الكبير يغش عندما يلعب مع الصغير. فيعترض الصغير ويتوقف عن اللعب متهما الكبير بأنه غشاش. لكن فى بعض الأيام عندما لا يجد الصغير أحدا من الأقارب كى يلعب معه يطلب من أخيه الكبير أن يلعب معه قائلا له: أنا موافق على اللعب بالغش. هل أصبحنا نوافق على الغش فى كثير من الأحيان فى حياتنا.
– نعم، لقد أصبح الغش كثيرا.
■ ما الذى يجعل الإنسان يطلب أن يلعب ولو بالغش؟
– عند انتشار الغش فلايصبح متاحا سوى اللعب بالغش
■ هل استسلمت فى حياتك للعب وأمامك من يغش؟
– لا، كنا نوقف اللعب.
■ وفى الحياة؟
– فى الحياة ربما لا نستطيع أن نتوقف. فنقبل الغش.



■ قدمت لابنتى عريسين، فكان ردهما العنيف: «هل نحن جوارى؟»

■ زوجتى بعيدة عن الأدب وهذا يريحنى بشدة

■ أمى تختلف عن جيلها، ومنها تعلمت حب الآثار

■ احتجاجات كثيرة من زوجتى وابنتى بسبب النظام الشديد فى حياتى

● يناير ١٩٨٣ ●

ماذا عن نجيب محفوظ فى علاقته بالمرأة؟ كيف يرى زوجته وابنتيه وأمه؟ وكيف يرى الحب والزواج؟ وما هى ملامح النظام الذى اعتاد عليه فى حياته؟

فى حديث خاص وحميم مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ حاولت العثور على الإجابة.

فى البداية طلبت من الكاتب الكبير نجيب محفوظ إجراء الحديث معه بوجود زوجته وابنتيه.

فقال أنهن يرفضن تماما الإدلاء بأية أحاديث صحفية أو حتى ظهورهن معه، وأنهن قد رفضن من قبل الظهور فى برنامج تليفزيونى عن حياته. تصورت أن الكاتب الكبير هو سبب هذا الرفض، وأنه يفضل بصورة تقليدية أن تبقى زوجته وابنتاه فى دائرة الظل، لكنه فاجأنى بكلماته التى كانت أشبه بالاستغاثة فى قوله:

– أنا أشعر بالحرمان من ابنتى، ورغم أننى صديق لهما، إلا أننا نادرا ما نجلس معا ونتكلم.

يحدث ذلك مع أن علاقتى بهما كأب علاقة ديمقراطية مائة فى المائة، لا أتحكم ولا أسيطر، إنما فقط أقول رأيى بالقبول أو بالرفض وأسلم بعد هذا بما تختارانه فى كل شىء. بل لم أحاول أبدا الضغط عليهما.

عندما كانتا فى الجامعة، كان اختلاطى بهما أكبر فى الأجازات، أما بعد أن توظفتا منذ حوالى سنة، فقد صارت لكل واحدة حياتها، ولا مجال للدهشة عندما تعلمون بأننى بالكاد أراهما ولمدة لحظات فى اليوم، وعادة ما يكون هذا أمام التليفزيون وكل منا مشغول فى شىء.

■ المثقف المصرى والعربى متهم بالازدواجية بمعنى أنه ينادى بأفكار لا يطبقها على نفسه وبيته. فما رأيك فى هذا؟

– هذا موجود فعلا، لكن الازدواجية فى حياتى ضعيفة جدا، فمثلا

لو قلت أنه يجب على الفتاة أن تأخذ حريتها، فابنتاى لهما الحرية والاستقلال، أنا لا أحب التحكم بصورة مغالى بها، وكل ما أريده هو أن أقول رأيى. قد نختلف تماما فى مسألة معينة، ودورى هنا هو أن أقول رأيى بالكامل وبعدها عليهما أن تتصرفا كما تريدان.

البنات والزواج

■ الزواج هو أحد أكثر المسائل حساسية، وفيه تظهر حقيقة المواقف، وقد قلت أن علاقتك بهما علاقة ديمقراطية، فماذا لو جاءت ابنتك وقالت لك أنها تحب شابا وتريد الزواج منه؟ كيف تتصرف؟

– طبعا أوافق مادامت اختارته، بل إننى سأعفى نفسى من السؤال عنه لأن ذلك سيكون تقليدا قديما، ولو قلت لها أن الناس يقولون شيئا عنه فسوف أجد مائة إجابة، لذا لابد أن أسلم من البداية، الدنيا الآن تغيرت تماما، ولا أنسى أننى قدمت لابنتى عريسين حسب الطريقة التقليدية جاءا يطلبانهما منى، وكان رد البنتين عنيفا: «هل نحن جوارى تعرضنا؟» وكلام من هذا النوع وكانت حكاية. مع أننى لم أفعل شيئا أكثر من أننى عرضت على كل منهما شابا طلب أن يتزوجها، وكان الرد أننى تقليدى ولست أدرى تقليدى لماذا؟ إلا أننى عرضت فكرة وتركت لهما حرية القبول أو الرفض دون أن أفرض عليهما أى شيء؟ لكنهما رفضتا هذه الطريقة من أساسها وهذا شيء غريب.

وأعتقد هنا أنه عندما تكون عندى ابنة وهناك شاب يريد الزواج منها فدورى أن أعرفها به وعليها أن تحكم وتختار. فكيف يكون هذا زواجا تقليديا؟

■ ربما يكون زواجا تقليديا لأنه مصنوع.

– هذا ما قالتاه لى، لكن ألم يكن من الأفضل أن ترفضا بدون غضب، خاصة أننى اعتقدت وقتها أننى قد جئت بأحسن زوجين، بل لم أحضرهما فهما اللذان تقدما إلى، وحتى الآن أنا غير قادر على أن أنسى أسفى عليهما.

■ يبدو أنك تشعر فى علاقتك بابنتيك بوجود فاصل كبير بين الجيل الذى ينتميان إليه والجيل السابق؟

- طبعا.

■ هل هما الجيل الأفضل؟

- أعتقد.

المهمة المستحيلة

■ مادمنا نتحدث عن الزواج، أنت تزوجت فى عام ١٩٥٤ أى وعمرك ٤٢ سنة، فلماذا تأخرت فى الزواج إلى ذلك العمر؟

- تأخرت فى الزواج لأننى اقتنعت بفكرة اتضح فيما بعد عدم صحتها، وهى أنه من الصعب على الإنسان أن يجمع بين الأدب والزواج، وربما كنت متأثرا فى هذا بالعقاد وبمشاهدتى للمتزوجين فى عائلتى، وكلهم كانوا موفقين فى حياتهم الزوجية، ولكن الحياة كانت تبتلعهم.

■ كيف؟

- كانت تبتلعهم فى زيارات لأسرة الزوجة وزيارات من أهل الزوجة لهم، حفلات شاى وحفلات الميلاد، إخوتى وأولاد عمى وعمتى كانت الحياة الزوجية تستغرق من وقتهم شيئا غير قليل. وقتها كنت أنظر لنفسى، فأنا موظف وبالتالى الجزء الذى يبقى من الوقت للأدب لا يجب التهاون فيه حيث لابد من التحصيل والقراءة المستمرة. وقد فكرت أننى لو تزوجت فما الذى يتبقى بعد ذلك للزوجة والأولاد والحياة العائلية؟ وكان هذا ما يخيفنى، رغم أن الحياة فى الوقت الذى توظفت فيه كانت رخيصة وكان من الممكن إتمام الزواج بمبلغ بسيط.

■ إذن تعطيل زواجك كان بسبب الوفاء للأدب؟

- بالفعل هذا ما حدث، إلى أن جاءت اللحظة الفاصلة التى وجدت فيها أنه يجب ألا أتأخر عن الزواج أكثر من ذلك. فكرت فى ذلك لأننى

بطبعى أملك استعدادا للحياة البيتية وللزواج، ولست من الرجال الذين يحبون حياة العزوبية.

■ بالمناسبة ما رأيك فى حياة العزوبية؟

– حياة العزوبية بمعنى أن يعيش الإنسان وحده، هى نوع من الحياة لم أعشه أبدا، فقد كنت دائما فى بيت وجميع المطالب التى أحتاج إليها مستوفاة.

■ وقرار الزواج، هل كان عن حب أم هو زواج بالطريقة التقليدية؟

– كان عندى الاستعداد، لكنى كنت مشغولا إلى أن بدأت أقترب من السن التى من الصعب الزواج بعدها، ووسط هذه الظروف التقيت لقاء عاديا بزوجتى، فوجدت عندها الاستعداد للزواج.

■ هل يمكن أن تذكر لنا قصة هذا الزواج؟

– تعرفت على عائلتها عن طريق أحد أفراد الأسرة ووجدت عندها القبول.

■ إذن ما رأيك فى فكرة الزواج بالطريقة التقليدية؟

– هذه الطريقة كانت تصلح فى وقتها، ولم تكن هناك وسيلة أخرى للزواج، وأيضا لو قررت أن أتزوج فى شبابى فغالبا ما كان الزواج سيتم بهذه الطريقة.

■ لماذا؟

– لأن التعرف على فتاة من عائلة كان مسألة غير سهلة فى ذلك الوقت، فأكثر ما كان يمكن أن يصل إليه شاب هو أن يرى الفتاة من بعيد. صحيح كانت معنا طالبات فى الجامعة، لكن لم يكن عددهن يتجاوز الثمانى. فكان مجال الاختيار ضعيفا جدا، وكان الزواج يتم بأن يخبر الشاب أسرته عن رغبته فى أن يتزوج وهم يتولون اللازم، وكانت هذه الطريقة التقليدية مناسبة لذلك الزمان، ولو كنت تزوجت فى شبابى لتم الزواج بالطريقة التقليدية.

ضاع الأدب مؤقتا

■ زواجك تم فى فترة كنت متوقفا فيها عن الكتابة؟

– فعلا، فى سنة ١٩٥٤ كنت متوقفا عن الكتابة، وكنت أظن نفسى قد انتهيت.

■ لماذا؟

– بعد الثلاثية وعندما جاءت ثورة يوليو ماتت رغبتى فى الكتابة وتوقفت لمدة خمس سنوات ولم أستأنف الكتابة إلا سنة ١٩٥٧.

■ هل توقفت نتيجة كونك قد انتهيت من الثلاثية وهى عمل عظيم جدا، ولم تكن تريد أن تكتب عملا أقل قيمة منها، أم لسبب يرجع إلى الظروف العامة؟

– أنا شخصيا فسرت هذا التوقف تفسيرات كثيرة، ولا أعرف السبب حتى الآن، ومن بين هذه التفسيرات ما هو دفاع عن النفس عندما كان يسألنى أحد: لماذا كنت تكتب قبل الثورة ثم توقفت عن الكتابة بعدها؟ كنت أقول أن كل شىء تحقق بعد الثورة وأنا مرتاح ولا أشعر بالرغبة فى الكتابة. وقد يكون هذا سببا وقد لا يكون. مثلما يجد الإنسان نفسه مريضا ولا يعرف تفسيرا لسبب المرض. فيقول ربما تعرضت لتيار هواء أو أكلت طعاما معينا. كل ما أعرفه أننى ظننت وقتها أن الرغبة فى الكتابة قد ماتت عندى إلى الأبد. لدرجة أننى بدأت أعمل وقتها ككاتب سينمائى وسجلت نفسى فى النقابة.

■ وما علاقة هذا بأن تتزوج فى تلك الفترة بالذات؟

– ربما لأننى كنت أخاف أن يضيع الأدب بالزواج، فإذا بالأدب يضيع وحده.

■ زوجة الأديب دائما مظلومة لأن وفاء الأديب يكون لأدبه وفنه أليس كذلك؟

– يضحك الأديب الكبير قائلا: أنا أظلمها، وهى أيضا تظلمنى أحيانا.

■ هل يمكن القول أن زوجة الفنان عادة هى امرأة من نوع خاص؟

– لاشك أن هناك أعمالا كثيرة تظلم الزوجة كإنسانة، لذلك لابد من التعويض عن هذا.

فمثلا لو زار زوجتى أحد أقول لها أن ترد الزيارة أو أن تأخذ البنتين للفسحة أو أشياء من هذا القبيل.

■ هل تطلع زوجتك على أعمالك الأدبية قبل ظهورها؟

– نادرا، فأنا لا أحب هذه الطريقة لأن عملى الأدبى يظل سرا إلى أن أعلنه على الناس، ويضايقنى جدا أن تسألنى ابنتى مثلا عما أكتبه الآن؟ فلا أعرف بماذا أجيب وأقول لها «رواية» فترد بقولها: «وما موضوعها؟» فأقول لها: «غدا ستعرفين».

■ وبعد ظهور الرواية هل يكون لزوجتك رأى فيها؟

– كلهن يبدين آراءهن وبصراحة شديدة بالقبول أو الرفض.

■ هل تذكر رأيا معينا لإحداهن فى رواية لك؟

– عندما تتحول أعمالى الأدبية إلى السينما أو التليفزيون فإنهن نادرا ما يقبلن ذلك.

■ هل يفضل نجيب محفوظ أن تكون لزوجة الأديب علاقة بالأدب أم أن تكون بعيدة تماما عنه؟

– زوجتى تعتبر بعيدة عن الأدب، وأنا مستريح لذلك، ولست أدرى ماذا سيكون الموقف لو كانت قريبة من الأدب، وكيف سيكون حالى. ربما إذا كانت الزوجة قريبة من الأدب، فإن ذلك معناه أنها تنكد حياته الأدبية أيضا. ومستحيل أن أجد ناقدا يعاشرنى ٢٤ ساعة فى اليوم.

الابنتان الرافضتان

■ هل أنت مع الرأى الذى يقول أن الحب يضيع بعد الزواج؟

– الحب له معان ودرجات، فلا يكون حبا ثم يضيع وإنما يتغير الحب.

■ كيف؟

– فى البداية يكون حبا يعكس كثيرا من الرومانسية والوجدانية، وبعد المعاشرة تهدأ الأمور وتستقر وتحل محلها زمالة واشتراك فى الحياة، إنه حب جديد من نوع آخر.

■ هل هو شىء أقرب إلى ما عبر عنه القرآن الكريم بالمودة والرحمة؟

– بالضبط يصبح مودة ورحمة، والمودة تتميز عن الحب بأنها أثبت وأقوى.

■ نعود لنسأل عن ابنتك أم كلثوم التى تعمل فى فندق «هيلتون» وفاطمة التى تعمل فى شركة القناة لتصنيع الأسماك، ما سر اختيار اسم أم كلثوم للابنة الكبرى؟

– أنا من عشاق الفنانة أم كلثوم، واختيارى للاسم جاء من هذا المنطلق. لكننى أعترف هنا بأن اختيارى لهذا الاسم كان الشىء الوحيد الذى كنت مستبدا فيه خلال حياتى. ومازلت أعاقب عليه حتى الآن.

■ كيف كنت مستبدا؟

– أنا أحب أم كلثوم، فأسميت ابنتى باسمها، وكنت أرى أن هذا أمر طبيعى جدا، وسجلت الاسم فى السجل المدنى رغم معارضة زوجتى الشديدة، وبعد أن كبرت البنت لم ترض عن الاسم فسمت نفسها هدى، وحتى أختها فاطمة لم ترض عن اسمها وأطلقت على نفسها اسم فاتن.

■ يبدو أن ابنتيك ثوريتان جدا؟

– بالضبط، حتى أنهما رغبتا بتغيير الاسم رسميا لولا تهدئتى لهما بأن المسألة لا تستحق.

■ جاء فى أحد تصريحاتك السابقة أن أول حب فى حياتك كان صورة قريبة من حب كمال عبدالجواد فى «الثلاثية» لعايدة شداد. فهل هناك معلومات واقعية تذكرها عن تلك الفتاة التي صورتها فى صورة

عايدة شداد؟

- أنا لا أعرف ما إذا كانت مازالت فى مصر أم لا، وإن كانت إحدى الصحفيات قد استطاعت أن تعرف بطرقها أنها فى الخارج، لكنها لاشك قد صارت عجوزا الآن.

الحب الأول

■ ما الذى يبقى من الحب الأول؟

- ذكراه، والقطفة الأولى لا يوجد مثلها، حتى لو ظهر أنها كانت كلاما فارغا.

■ هل الحب الرومانسى بالشكل الذى ظهر فى «الثلاثية» كان مسألة حقيقية فى تلك الفترة؟

- نعم الحب الرومانسى كان يحدث نتيجة البعد وعدم الاختلاط، وبالتالى يعمل الخيال عمله.

■ إذن ما رأيك فى الحب من طرف واحد، هل هو حب حقيقى أم وهم؟

- يصمت نجيب محفوظ للحظات ثم يقول: الحقيقة هو ليس بالحب الكامل على العموم، فالحب علاقة بين طرفين.

■إذن ما الذى يجعل هذا النوع من الحب متوهجا بالصورة التي صورته بها فى الثلاثية؟

- السبب هو أنه من طرف واحد وأنه محروم من الاتصال. من هنا فهو مطلوب.

والشيء الذى يخسره الإنسان هو الذى يعيش فى الوجدان لمدة طويلة.

■ معنى ذلك أنك تعترف بأنك مررت بهذه التجربة؟

- لست وحدى فقط، بل جيلى بأكمله، وأذكر هنا كلمة الناقد المرحوم المعداوى قائلا عن شخصية كمال عبدالجواد وحبه الرومانسى فى «الثلاثية» أنه شعر بأننى أصفه هو شخصيا.

وهذه الكلمات نفسها سمعتها من أكثر من شخص وجاءتنى فى عديد

من الخطابات من البلاد العربية، فهذا هو طابع الحب فى ذلك الوقت.

■ وماذا تقول عن حبك الرومانسى الأول؟

– بتأمل شديد يجيب: الحقيقة أن ما يتضح بعد ذلك هو أنه كان أمرا خياليا، لكنه تجربة تثرى الحياة ولا تفقرها لأنها تتداخل فى وجدان الإنسان وفى إرادته وفى نشاطه وفى علاقته مع الحياة كلها.

انضباط

وبعد الحب والكلام عن الرومانسية والتحليق فى الخيال ننتقل نقلة كبيرة إلى الواقع، حيث النظام والانضباط الذى اشتهر به كاتبنا الكبير.

فالاستيقاظ فى الخامسة والنصف بالضبط، وفى السابعة الخروج للتمشية من البيت على النيل فى العجوزة عبر كوبرى قصر النيل ثم ميدان التحرير حتى الوصول فى الثامنة إلى مقهى «ريش» بوسط المدينة، فنجان القهوة وقراءة صحف الصباح. ثم العودة بسيارة أجرة «تاكسى» فى العاشرة إلى البيت حيث الكتابة إلى أن يحين موعد الغداء، ينام. يصحو. يجلس للقراءة أو الكتابة حتى التاسعة. بعدها يقضى بقية السهرة عادة أمام التليفزيون.

عندما طلبت من الأستاذ نجيب محفوظ أن يصحبنا فى خياله إلى إحدى جولاته الصباحية فى شوارع القاهرة أجاب قائلا:

– أغلب الشوارع التى أسير فيها يوجد بها البيوت والنيل والحدائق، أحيانا أستمتع بالمنظر الطبيعى، وأحيانا بالمنظر الصناعى، وأحيانا أسرح فى أفكارى، وعموما هى تمشية غير مخصصة.

■ التكرار اليومى لهذه التمشية عبر الشوارع نفسها ألا يبعث أحيانا بالملل إلى نفسك؟

– إطلاقا، فأنا أعتبرها متعتى الأولى فى الحياة، ولا أشبع منها أبدا.

صداقات قديمة

التزم الأستاذ نجيب محفوظ طوال السنوات الماضية بعادتين، الأولى: لقاء الأصدقاء القدامى أسبوعيا بقهوة عرابى بالعباسية، وقد انقطع عنها مؤخرا بسبب صعوبة المواصلات. فهو لا يملك سيارة لأنه لم يهتم بأن يملك سيارة كما يقول. فى حين أن ابنته لديها سيارة، والعادة الثانية هى اللقاء بشلة «الحرافيش» مساء الخميس منذ بداية الأربعينيات وحتى اليوم. كان اللقاء يتم فى بيت الكاتب المرحوم محمد عفيفى، والآن فى منزل الفنان أحمد مظهر.

■ وأسأله: أليس من المدهش استمرار صداقاتك هذه السنوات الطوال؟

– يرد بقوله: الصداقة قيمة كبيرة جدا، وما يدل على أهميتها أن لى أصدقاء اليوم، صداقتى مستمرة بهم منذ ٦٥ سنة، فقد بدأت صداقتنا من عمر خمس سنوات واستمرت حتى اليوم، وكل من عرفتهم فى هذه السن صداقتى بهم مستمرة إلا من رحلوا عن دنيانا.

ولم يحدث بينى وبين صديق أى خلاف يقطع العلاقة، حتى من باعدت الظروف بيننا، خاصة بسبب المواصلات، فمن صار يسكن منهم بعيدا صرت أراه فى كل مناسبة أو كل صيف ويكون لقاؤنا من الأعماق.

■ وبالنسبة لشلة الحرافيش؟

– هى شلة الأصدقاء الذين جاءوا فى فترة تالية. لكن كثيرا منهم أيضا رحل. أصبحنا قلة. وأغلب سهراتنا صارت تضم ثلاثة أو أربعة فقط.

الإسكندرية.. ليه؟

لدى الأستاذ نجيب محفوظ أيضا عادة قضاء أشهر الصيف كلها فى الإسكندرية.

وهناك يقضى وقته فى نظام محدد أيضا. فى الصباح يخرج للتمشية وقراءة الجرائد فى مقهى «ديلييسى» بالرمل. وفى العاشرة والنصف يدخل ندوة توفيق الحكيم فى الشانزليزيه بعد أن تم هدم كازينو «بترو» الذى كان يشهد ندواتهم طوال السنوات الماضية، ثم يترك الندوة في الساعة الواحدة تماما، وأسأل الأديب الكبير عن سبب الانتظام فى السفر إلى الإسكندرية سنويا.

– يقول: هناك سبب وراء ذلك، وهو أن بقائى فى القاهرة فى الربيع والصيف يصبح عذابا بالنسبة لمرض الحساسية فى عينى وجلدى، فلو كانت المسألة من أجل التصييف كان يكفينى شهر واحد.

■ معروف عنك أنك لا تحب السفر، فما السر؟

– لا أعرف لهذا سببا محددا، وطوال حياتى لم أغادر مصر إلا مرتين مع وفود رسمية: الأولى إلى اليمن والثانية إلى يوغوسلافيا. المهم أننى استمتعت جدا بالرحلتين وحتى الآن مازلت أتذكر الأيام الثلاثة التى قضيتها فى سعادة شديدة بيوغوسلافيا.

■ إذن لماذا لم تكرر تجربة السفر؟

– لأننى بطبعى غير سعيد بفكرة السفر.

الأم المختلفة

■ النظام اليومى الشديد الدقة فى حياتك، هل كان لوالدتك دور فيه؟

– لا، لكن والدتى تركت تأثيرا آخر على حياتى، فقد اعتادت أن تصحبنى لزيارة المتحف والأهرامات، فكان لهذه الجولات الثقافية تأثير كبير على دون أن تدرى هى.

■ هذا أكيد، لدرجة أنك فى بداية كتاباتك كانت عينك على التاريخ الفرعونى. لكن ألا ترى أن هذه الأماكن تبدو غريبة علي اهتمامات المرأة فى بداية هذا القرن؟

– فعلا، وأنا حتى الآن لم أعرف السر فى هذا. والدتى توفيت منذ

حوالى عشر سنوات بعد أن تجاوزت المائة وهى من جيل لا يقرأ ولا يكتب.

فكيف عرفت أن هناك متاحف وآثارا؟ وكيف أحبت هذه الآثار وكيف كانت تزورها؟

ربما كان والدى يأخذها فى وقت سابق لولادتى لزيارة هذه الأماكن. لكن والدى لم يبد عليه أبدا أنه كان مغرما بمثل هذه الأمور. أنا زرت معها المتحف المصرى عشرات المرات.

كانت والدتى مغرمة أيضا بالنزهات الخلوية الجميلة، حيث كانت القاهرة كلها حدائق. كانت شبرا وروض الفرج والعجوزة والجيزة كلها حقولا، فكنا نركب الترام ونشاهد الأماكن المختلفة.. كان مجرد ركوب الترام حتى نهاية الخط والعودة نزهة جميلة، ووالدتى كانت تحب الحقول وتحب الآثار رغم أنها من بيئة أعتقد أنها لم تخرج خلالها من منزل والدها إلا لمنزل والدى يوم الزواج.

■ لكن والدتك هنا مختلفة تماما عن صورة الأم كما قدمتها فى «الثلاثية»، الأم التى تخشى من زوجها «سى السيد» ولا تخرج من المنزل على الإطلاق.

– نعم والدتى كانت مختلفة تماما. لكن صورة الأم فى الثلاثية هى المعبرة عن ذلك الجيل.

والدتى هى التى كانت مختلفة عن جيلها، فكان والدى يسمح لها بالخروج كثيرا وكان يعرف أنها تأخذنى إلى تلك الأماكن.

■ ولماذا كانت تصحبك أنت بالذات، ألم يكن لك إخوة آخرون؟

– لى أخوان وأربع أخوات، ولكنى لم أنشأ معهم لأن الفرق بينى وبين الأكبر منى مباشرة كان عشر سنوات فأول ما وعيت كان البيت قد أصبح خاليا، حيث كنت آخر الأبناء.

■ إذن هذا هو سبب استئثارك بهذه الجولات؟

– إخوتى كلهم تزوجوا فى سن صغيرة، فالفتاة فى ذلك الوقت

كانت تتزوج عندما تصل إلى سن ١٦ سنة، ولو بقيت حتي أصبحت سنها ١٧ سنة يقولون أنها عانس! لقد وعيت على الدنيا فوجدت أخواتى كلهن متزوجات، وكذلك الذكور وكانوا يأتون لزيارتنا كالضيوف.

البداية.. رواية بوليسية

■ فى وسط هذه الظروف، كيف بدأت علاقتك بالأدب؟

– حدث هذا بطريقة تشبه اللعب. كنت فى الصف الثالث الابتدائى ولى صديق كان يقرأ رواية بوليسية ثمنها قرش، وكانت أول شيء أقرأه خارج المقرر، ومن يوم أن قرأتها حتى الآن وأنا مستمر فى القراءة، فقد جعلنى هذا أقرأ عوالم كثيرة، وفى وقت من الأوقات ظننت أننى أعد نفسي للفلسفة ثم اهتديت إلى أننى أريد أن أصبح أديبا.

■ وبداية الكتابة والنشر؟

– بدأت أنشر مقالاتى وأنا فى المرحلة الثانوية، ثم فى فترة الجامعة فى مجلتى «المعرفة» و«المجلة الجديدة» وكانت مقالاتى فى الفلسفة وفى الفن، وكنت أنشر – أحيانا – قصصا.

■ ألم تجد تعارضا بين الأدب والوظيفة؟

– وظيفتى لم تطغ على الأدب، لأنها كانت دائما كتابية أو إدارية. فبمجرد الخروج من مكان العمل أعود إلى البيت متفرغا للأدب. فلم أعمل فى وظائف ذات مسئولية إلا فى سن متأخرة، حين أصبحت رئيس مؤسسة أو مستشار وزارة، وفى مثل تلك الفترات كان عملى يتعطل بالكامل.

■ هل هناك علاقة بين التنظيم الشديد فى حياتك وبين الوظيفة؟

– عندما يكون الإنسان مشغولا فى وظيفته يوميا من الصباح وحتى الساعة الثانية ظهرا، فإن لم ينظم بقية يومه سيضيع وقته هباء. والثقافة تحتاج إلى وقت غير محدود، وكذلك الكتابة خاصة أننى ابتداء من فصل الربيع وحتى نهاية الصيف لا أصلح للعمل نتيجة

الحساسية فى العين وفى الجلد. فالوظيفة تأخذ جزءا والمرض جزءا، وما يتبقى للعمل إذا لم أسيطر عليه سيطرة تامة فسيضيع كل شىء. فهو ليس مجرد نظام وإنما ظروف أدت إلى نظام. وربما ظهر النظام فى حياتى من أيام المدرسة لأننى كنت مغرما بلعب الكرة وبالسينما وبالعمل، فكان لابد من التنظيم بينها. وأعتقد أن التنظيم دخل حياتى بالفعل قبل الوظيفة.

الأسرة والنظام

■ والآن، ألا تعترض الزوجة وابنتاك على الخريطة اليومية الدقيقة والصارمة لحياتك؟

- إنهن يسلمن بها فى النهاية، لكن من خلال احتجاجات كثيرة.

■ هل هناك مثال لهذه الاحتجاجات؟

- مثلا استيقاظى فى الخامسة والنصف حيث يدق جرس المنبه الذى قد يوقظ الآخرين حتى من بعيد. وأحيانا يضيقون بهذا النظام ويقولون بأنه لا داعى لأن يكون بهذه الدقة الشديدة.

■ ألا تشعر أنت أحيانا بالرغبة فى كسر هذا النظام الصارم الموجود فى حياتك؟

- أحيانا.

■ وهل تكسره فعلا؟

- هذا يقتضى أن أكون بلا التزامات وربما أفعل هذا عندما أتوقف عن الإنتاج الأدبى.

وعندما وصلنا إلى هذه النقطة أيقنت أن الحديث الشيق مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ وصل إلى نهايته. لأننا تجاوزنا موعد الغداء بخمس دقائق. وربما تكون أية دقيقة تأخير بعد ذلك تكسيرا للنظام وتخليا عن الالتزامات وهذا معناه التوقف عن الإنتاج الأدبى، وهو أمر ليس فى صالح القارئ.



- أنا شخص انطوائى لم أعرف الكثيرين
- سلامة موسى هو أول أديب عرفته معرفة شخصية
- سيد قطب هو أول من كتب عنى
- جمال عبدالناصر جاملنى بكلمة لطيفة
- التقيت بالسادات قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية
- أنا شديد الإعجاب بالسيدة أم كلثوم لكننى لم ألتق بها إلا مرة واحدة

● سنة ١٩٨٤ ●

على شاطئ البحر في الإسكندرية كان موعدى مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ، الاتفاق مع أديبنا الكبير هو أن يدور حوارنا معا عقب انتهاء ندوة الكاتب الكبير توفيق الحكيم التى يحرص نجيب محفوظ على حضورها.

فى الموعد المحدد ذهبت. وكان نجيب محفوظ كعادته متواضعا بين مجموعة من الأدباء الشبان، وكان توفيق الحكيم هو الذى يتحدث فى معظم الأحيان إلى أن خبط الحكيم بعصاه على الأرض ووقف استعدادا للرحيل. وتتابع صوت خطوات الحكيم بعصاه فوق أرض المقهى التى لا يغطيها سوى «البلاط» الذى يتم رشه بالمياه مع حرارة الصيف ثم صوت خطوات بقية المشاركين فى الندوة، ولم يبق سوى الكاتب الكبير نجيب محفوظ ليتحدث معى عن توفيق الحكيم وقبله نتحدث عن الشخصيات الأدبية الأخرى التى أثرت فى حياة نجيب محفوظ وفى أدبه وكونت شخصيته. فجاءت كلمات أديبنا الكبير التى قالها بينما عيناه تتأملان أمواج البحر المتتابعة تارة والسيارات التى تقطع بسرعة شارع الكورنيش الذى يفصل بين المقهى والشاطئ تارة أخرى، فإذا به يخرج على السائد ويتحدث عن العديد من الشخصيات فى حياته. فجاء حديثه كنوع من أدب الاعترافات، وجاءت كلماته لتعبر بأمانة ووضوح عن الانطوائية التى تتميز بها شخصية أديبنا الكبير.

يعود نجيب محفوظ إلى عام ١٩٢٥ فيقول:

مصطفى لطفى المنفلوطى أول شخصية أدبية مصرية كونتنى. بدأت قراءته فى سن مبكرة جدا فى عام ١٩٢٥، المنفلوطى دخل قلوبنا بأسلوبه السلس الفريد وبموضوعاته العاطفية التى تناسب سن المراهقة، فكان هو معشوق الجيل كله، وأعتقد أننا تأثرنا به سواء بأسلوبه أو بأفكاره فى تلك الفترة من الزمن.

وعندما كنت أقرأه كنت أظن أنه حى، على الرغم من أنه توفى حوالى عام ١٩٢٤ ولم أعرف ذلك إلا فى فترة متأخرة، فحزنت عليه

حزنا شديدا ربما هو الأول من نوعه، حيث حزنت عليه بعد وفاته بسنوات، وأعتقد أن هناك أشياء كثيرة من المنفلوطى عاشت فى وجدانى بطريقة أو بأخرى ربما يستطيع الآخرون أن يلمسوها فى نفسى أكثر من أن ألمسها أنا.

لكن تأثير المنفلوطى كان تأثيرا عاما سواء فى أدباء هذا الجيل أو فى القراء، وأعتقد أنه أثر فى أساتذتنا، فنبض أسلوبه يظهر فى الدكتور طه حسين والزيات وغيرهما.

العقاد

الشخصية الثانية التى قرأتها وتأثرت بها كانت شخصية عباس العقاد. كنا نقرأ للأستاذ العقاد الافتتاحية السياسية، ومرة بالصدفة قرأت إعلانا عن ديوان شعر له كنت أشك أن يكون العقاد السياسى هو الشاعر. اشتريت الديوان وبعد ذلك عرفت كتبه واطلعت على رؤيته فى النقد. وفى معنى الأدب، وفى حرية الأديب وكرامته، كما أننى قرأت شعره، بل لعله هو الشاعر الوحيد الذى قرأت جميع دواوينه.

وبقيت ملازما لقراءته حتى فترة متأخرة، فقرأت «العبقريات» وأعجبت إعجابا خاصا بقوة ونفاذ بصيرته وتحليله فى رواية «سارة» وعموما العقاد يترك أثرا مزدوجا فى نفس قارئه: أثرا أدبيا وأثرا أخلاقيا، لأنه كان معتزا بكرامته جدا. هذا الاعتزاز أضفاه على الأدب نفسه فجعل من الأدب قيمة كبيرة شجعتنا على ما أعتقد فيما بعد أن نكرس حياتنا للأدب حيث كانت القيم الأولى فى المجتمع لرجال السياسة ورجال القانون.

والغريب أن العقاد قد عاش ومات دون أن أتصل به. ولم أعرفه معرفة شخصية مع أننى كنت أصادفه أحيانا فى الشوارع وأحيانا فى المكتبات مثل مكتبة الأنجلو، لكن لم أعرفه معرفة شخصية، والأكثر من هذا كتبت فى صفحته الأدبية، كنت أرسل له مقالات وكان ينشرها، وقد شجع كاتبها عن طريق صديق مشترك كان يحضر جلساته هو

الدكتور توفيق الطويل. لا أعتقد أنه كان من الملازمين لجلساته. إنما زاره مرة أو مرات وتحدث معه عن مقالاتى بشىء من التشجيع حيث كانت المقالات التى نشرتها فى صفحة العقاد الأدبية هى من أولى مقالاتى.

■ ولماذا لم تحاول أن تتصل بالعقاد أو تحضر جلساته؟

- لم أحاول حضور جلسات أحد أبدا، فعادة إما أن أعمل فى البيت، أو أجلس مع أصدقائى الخاصين، لكن التعرف بأدباء أو شخصيات أو الإسهام الإيجابى فى الأدب أو السياسة على مستوى المجتمعات لم أمارسه أبدا، ويمكن اعتبارى منطويا فى هذه الناحية.

د. هيكل

ويواصل الكاتب الكبير نجيب محفوظ الغوص فى الماضى فيقول: بالطريقة نفسها قرأت للدكتور محمد حسين هيكل وكان إعجابى كبيرا بقصصه القصيرة التي كتبها، ثم رواية «زينب»، كذلك أثر فىَّ جدا «ثورة الأدب» لكن مضمونه الأساسي ليس فى ذهنى الآن.

وكانت مجلة «السياسة» الأسبوعية التى يشرف عليها هى من أهم المجلات التى كنا نتابعها فى ذلك الوقت. وحاولت أن أنشر فيها وبالفعل نشرت القليل.

المازنى والروح الفكهة

من أحب الكتاب إلىَّ أيضا «المازنى» فهو فى مستوى العقاد وهيكل من الناحية الأدبية، ويمتاز بروح فكهة جدا تجعله ألصق للقلب من أى كاتب آخر، كان أقربهم فى الواقع لروح القصة وموهبتها والاستعداد لها. قرأت له بالطبع «إبراهيم الكاتب» وقصصه القصيرة وقرأت صوره العجيبة، والحقيقة أن المازنى من الأدباء النادرين الذين لهم أدب جميل يقرأ فى أى وقت فلا يفقد أى شىء من جماله. وقرأت ديوانه الشعرى وكان ديوانا جميلا ويبشر بشاعر، ولا أدرى كيف انقطع عن الشعر، وقد كان هذا الديوان غير مطبوع، وأذكر أننى

قرأته فى نسخة استعرتها من دار الكتب.

سلامة موسى أول من نشر لى

أول أديب عرفته معرفة شخصية كان سلامة موسى فعندما كنت فى المرحلة الثانوية أصدر «المجلة الجديدة» فى سنة ١٩٢٨ وبدأت أرسل له مقالات منذ أعدادها الأولى وقام بنشرها.

وكان نشر مقالاتى فى مجلة مثل «المجلة الجديدة» يعتبر تشجيعا كبيرا ومشرفا لى، ولما ثابرت على النشر أرسل إلى كى أذهب وأقابله فى المجلة، فذهبت إليه. اندهش عندما وجدنى مازلت طالبا. فقد كان يظن أن سنى أكبر، عندما تمت هذه الزيارة كنت قد التحقت بالجامعة. تحدثنا عن الجامعة وجوها. وعن السياسة فى ذلك الوقت وتحدثنا فى الأدب، وخلال الحديث جاءت سيرة القصة فقلت له أننى أدرس فلسفة وأكتب قصصا فى الصيف. فقال لى: وبعد أن تكتبها ماذا تفعل؟ قلت: أنا أكتبها لمزاجى ولم أفكر فى نشرها، فطلب منى أن أطلعه على إحدى قصصى وكان عندى رواية أو اثنتان، الغريب أننى كنت حين أقدم له الرواية يطلب منى أن أعود لزيارته بعد أسبوع، وحينما أذهب إليه أجده قد انتهى بالفعل من قراءتها، ويقول لى: أنت لك موهبة فى كتابة القصص. وداومت على كتابة المقالات إلى أن أطلعته مرة على رواية فقال لى: هذه الرواية فى مستوى النشر وسأنشرها.

وكان قد نشر لى من قبل كتابا مترجما عن الحياة فى مصر. فصدرت الرواية وكانت أول عمل لى أراه مطبوعا فى كتاب. وكان صدورها أول سبتمبر عام ١٩٣٩ كهدية للمشتركين فى المجلة، وكان ذلك يوافق يوم إعلان هتلر الحرب أو يوم غزو بولندا، وللأسف انكمشت المجلات بعد الحرب وحدثت أزمة فى الورق فقام سلامة موسى بتصفية مطبعته مع أننى كنت آمل فى أن ينشر لى إنتاجى الباقى، ومنذ العام ١٩٣٩ أخذت أتسول النشر حتى عام ١٩٤٤ أى لمدة خمس سنوات.

وسلامة موسى رجل منطو مثلى، فقد كانت حياته بين المجلة وبيته، ولم تكن له جلسات، أو أشياء من هذا القبيل، ولولا أنه طلب أن أذهب إليه وشجعنى على مقابلته لما ذهبت للقائه، ولولا أنه طلب منى أن يقرأ قصصا لى خلال حديثنا عن الفن الروائى لما تجرأت على أن أعرض عليه رواياتى.

توفيق الحكيم

آخر الجيل الكبير الذى أثر فينا فعلا وكان تأثيره بصفة خاصة فى توجيهنا الفنى هو توفيق الحكيم، وكان ظهوره بالطبع متأخرا عن هؤلاء، لأن أول عمل له فاجأ به الحياة الأدبية كان فى سنة ١٩٣٣ وهو «أهل الكهف» وكنت أنا فى السنة الثالثة فى كلية الآداب. وكان له دوى في الحياة الأدبية مثل انفجار القنابل، وقرأناه، ومنذ ظهور «أهل الكهف» ونحن نتابع لتوفيق الحكيم كل كلمة يكتبها كتابا كان أو حديثا أو مقالة في مجلة «الرسالة» أو «الثقافة» أو غيرهما.

فالحقيقة أن فن الحكيم كان يعتبر فنا جديدا فى حياتنا وفنا بديعا وهو من حيث الجمال وشدة التأثير يعتبر مثل بعض الكتب العالمية التى كنا نقرأها مترجمة.

ولعل توفيق الحكيم هو الوحيد من أدبائنا الكبار الذى أتيح لى أن أعرفه بعد حوالى ١٨ سنة من تعرفى على سلامة موسى وقد استمرت علاقتى بتوفيق الحكيم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن.

وكانت قد ظهرت لى رواية «زقاق المدق» حوالى عام ٤٦ أو ١٩٤٧ بعدها بحوالى عام تعرفت على توفيق الحكيم عن طريق الكاتب والفنان محمد متولى وهو أحد الذين خدموا فى الأوبرا وفى الجامعة.

كان محمد متولى من المعجبين بقصة «زقاق المدق» وطلب من توفيق الحكيم أن يقرأها. فأبدى توفيق الحكيم رغبته فى أن يعرف صاحبها، وكان محمد متولى يعرفنى فى ذلك الوقت معرفة عامة فحين التحقت بكلية الآداب كان هو موظفا فيها، قال لى وقتها أن توفيق

الحكيم يريد أن يرانى وذكر لى اسم المقهى الذى يجلس فيه توفيق الحكيم فتشجعت وذهبت وبعد أن تعرفت على توفيق الحكيم شجعنى. وأظن أننا وقتها كنا فى بداية الصيف وسألنى: أين تقضى الصيف، قلت: فى الإسكندرية فذكر لى اسم المقهى الذى يجلس فيه فى «سيدى بشر» ومنذ ذلك الصيف فى حوالى ١٩٤٨ وأنا ملازم لمجلسه حتى الآن.

كنت فى ذلك الوقت أقضى شهر «سبتمبر» فى الإسكندرية وبعد أن أحلت إلى المعاش أصبحت أحضر ندوته يوميا طوال الصيف فى الإسكندرية.

والواقع أن توفيق الحكيم شخصية ممتعة مثل أدبه، وتأثيره فينا كان تأثيرا مباشرا لأنه كان فنانا واشتغل فى المسرح والرواية والقصة القصيرة فكل الأجيال التى جاءت بعده وكانت لها إنجازات مسرحية أو روائية أو قصص قصيرة تأثرت به أو كما يقولون خرجت من تحت عباءته.

الشيخ مصطفى عبدالرازق

فى قسم الفلسفة بالجامعة عرفت شخصية من أعظم الشخصيات التى أنجبتها مصر، الشيخ مصطفى عبدالرازق، كان أستاذنا فى الفلسفة، وكانت سراى آل عبدالرازق وراء سراى عابدين، وكانت من الاتساع والفخامة مثل سراى عابدين، وكان طلاب الشيخ مصطفى عبدالرازق يذهبون إليه سواء فى الأجازات أو فى بعض أيام العطل أثناء العام الدراسى فيطلعهم على بعض الكتب النادرة، يعقد جلسات للمناقشة الفلسفية كأنها امتداد للجامعة.

هناك كنا نجد روادا آخرين بعضهم من الأزهر وبعضهم من البلاد العربية، فكانت فرصة أن نشاهد الكثيرين، المهم أن هذه الشخصية علمتنا تدريب العقل على التفكير والتأنى من أجل معرفة الحقيقة، وكيفية احترام الحقيقة والسمو دائما على أية أهواء أو تعصب إلى

جانب ما تحلى به من خلق جميل يندر أن يوجد فى البشر، تبل أخلاقه، كرم إنسانيته، كان بالفعل مثلا أعلى لمن يتصل به ويعرفه.

والحقيقة أن ذكراه لا تنسى بحال من الأحوال، وبعد أن تخرجت وتوظفت فى إدارة الجامعة أصبح الشيخ مصطفى عبدالرازق وزيرا للأوقاف فكان هو سبب نقلى من إدارة الجامعة إلى وزارة الأوقاف حيث بقيت فى هذه الوظيفة إلى أن انتقلت إلى وزارة الثقافة.

ويختتم نجيب محفوظ حديثه عن الشخصيات الأدبية التى تأثر بها قائلا:

هؤلاء هم جملة من تأثرت بهم والظروف التى عرفتهم فيها وواضح أن الاتصالات لم تكن إلا مع سلامة موسى وتوفيق الحكيم والشيخ مصطفى عبدالرازق.

مصطفى أمين

■ أقول للكاتب الكبير نجيب محفوظ: هذا عن الشخصيات التى تأثرت بها فى بداية اهتمامك بالأدب. ننتقل الآن إلى الشخصيات التى تعاملت معها فى مجال الصحافة أو السياسة أو الفن، نبدأ بالأستاذ مصطفى أمين.

فيرد الكاتب الكبير نجيب محفوظ قائلا:

– الحقيقة أنا أقرأ لمصطفى أمين منذ بدأ يكتب، قرأت له فى مختلف المجالات، لكننى لم أقابله وجها لوجه ولم أضع يدى فى يده سوى مرة واحدة فى العام الماضى بدار أخبار اليوم، على الرغم من أن مصطفى أمين لم يكتب كلمة إلا قرأتها. وأنا من المقدرين جدا لمواهبه الصحفية ككاتب وكمبتكر لأننى لمست الدور الذى لعبه فى الصحافة المصرية، فقد نقلها من جيل إلى جيل ومن مستوى إلى مستوى، فعندما نسأل من هو الصحفى الذى له فضل فى تطوير الصحافة المصرية كصحافة بأشمل معنى لابد أن نقول مصطفى أمين وعلى أمين بدون شك.

ويستطرد نجيب محفوظ قائلا:

ورغم أننى لم ألتق بمصطفى أمين سوى مرة فى العام الماضى إلا أنه فى حوالى عام ١٩٤٥ عرض مصطفى أمين على فرصة للنشر فى أخبار اليوم، لكن لم تسعفنى ظروفى، فقد كنت أكتب وقتها رواية «زقاق المدق» وكان عرض الأستاذ مصطفى أمين هو أن أكتب قصة قصيرة أو قصتين على ما أذكر فى الشهر فى «أخبار اليوم»، ورغم أنها فرصة عظيمة لكننى فضلت ألا أنقطع عن كتابة رواية «زقاق المدق» خاصة أننى فى تلك الفترة لم أكن أكتب قصصا قصيرة، حيث كنت أكتب القصص القصيرة لفترة، ثم فضلت الاتجاه لشكل فني آخر هو الرواية.

■ الزعماء

■ هل كانت لك علاقة بأحد من الزعماء السياسيين؟

– لم تكن لى علاقة بأى زعيم سياسى.

■ ألم تلتق بأحد من الزعماء المصريين؟

– لم يحدث إلا فى اللقاءات العامة التى أكون أنا فيها واحدا ضمن عشرين ألفا أو ثلاثين ألفا فى اجتماع سياسى نستمع إلى خطاب للنحاس باشا أو جمال عبدالناصر أو أنور السادات، إنما لم يحدث لقاء خاص.

ويتابع نجيب محفوظ: فى ظروف عادية التقيت مع أنور السادات قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية.

كان قد دعانى إلى مؤتمر سياسى، وكان هو رئيسه، لكن لا أذكر ما هو هذا المؤتمر بالضبط.

■ وجمال عبدالناصر؟

– التقيت بجمال عبدالناصر وأنا أتلقى وسام الاستحقاق.

والتقيت به مرة كان يزور فيها «الأهرام» حوالى عام ١٩٦٨ أو ١٩٦٩، وزار وقتها أقسام الأهرام المختلفة وكان معه هيكل، كنا وقتها

الدكتور لويس عوض والفنان صلاح جاهين والدكتور حسين فوزى وأنا، ولا أذكر الآن هل كان معنا أحد آخر أم لا . . تحدث عبدالناصر مع كل واحد منا فيما يهمه، وجاملنى بكلمة لطيفة حيث قال لى: لماذا لم نقرأ لك قصة جديدة منذ فترة؟ فرد هيكل بأن قصة جديدة لى سيتم نشرها غدا. وهذا يعنى أن الزيارة كانت يوم الخميس حيث كانت القصة تنشر يوم الجمعة.

■ هل كانت لك علاقة بسيد قطب؟

- سيد قطب يمكن اعتباره من حيث السن «زميلا»، ولقد كتبت لفترة دون التفات من ناقد حقيقى محترف إلى أن كان هو أول من كتب عنى. ثم تعرف إلينا وأصبح يجلس معنا فى ندوة كازينو الأوبرا. وكان له فى الأدب باع ومستقبل لدرجة أننى اندهشت عندما تحول فجأة من الأدب إلى السياسة، ثم صادفه سوء الحظ، ففى لحظة كنا نتوقع أن يصبح وزيرا وإذا به يدخل السجن ويبقى فيه فترة طويلة ثم يخرج ليعود مرة أخرى ويتم شنقه.

■ هل تغير بعد خروجه من السجن فى المرة الأولى؟

- فعلا تغير بعد خروجه من السجن، وعندما زرته كان جو بيته مختلفا، وأصبح سيد قطب مختلفا عن الأديب والناقد والشاعر والقاص الذى كنا نعرفه، ولم يعد يشغل باله إلا «الإخوان المسلمون» ومبادئهم والرؤية للإسلام والحكم ومختلف هذه الأمور، واليوم «سيد قطب» يعتبر من الأئمة على المستوى الإسلامى.

أم كلثوم

■ فى مجال الشخصيات الفنية هل صحيح أنك شديد الإعجاب بالسيدة أم كلثوم؟

- نعم.

■ وهل التقيت بأم كلثوم؟

– لم ألتق بها إلا مرة واحدة كان هناك حفل تكريم لى فدعاها هيكل لحضوره فتكرمت وحضرت، وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى أصافحها فيها يدا بيد، رغم أننى كنت أواظب على حضور حفلاتها باستمرار منذ كنت طالبا فى الثانوية ثم الجامعة ثم وأنا موظف فأغلب الشخصيات الفنية التى أعجبت بها ظلت معرفتى بها معرفة إعجاب من البعد.

■ ما تفسيرك لعدم حرصك على لقاء الشخصيات التى تتابعها من بعيد؟

– لم يكن عندى وقت للتعارف والعلاقات الشخصية فقد كنت موظفا نصف اليوم، ونصف اليوم الآخر أفضل أن أستغله كأديب. أما الأجازة الأسبوعية فأحب أن أقضيها مع أصدقائى الخصوصيين.

شلة «الحرافيش»

■ وماذا عن أصدقائك من شلة «الحرافيش»؟

– بداية التعارف بين شلة «الحرافيش» كان فى سنة ١٩٤٣، فى ذلك العام أنشأ المرحوم «عبدالحميد جودة السحار» لجنة النشر للجامعيين ودعا من كانت لهم أعمال حصلت على جوائز بعد نشرها، وعبر هذه الدعوة عرفت من «الحرافيش »عادل كامل وكان له أصدقاء مثل الفنان «أحمد مظهر» وأصدقاء آخرين انتقلوا إلى رحمة الله منهم محمد عفيفى، وعرفنا أصدقاء نتمنى أن يطيل الله فى أعمارهم، مثل أحمد زكى مخلوف، ومحمود شبانة، وبعد ذلك عندما عرف آخرون باجتماعاتنا الأسبوعية انضموا إلينا مثل المخرج «توفيق صالح» والشاعر «صلاح جاهين» والفنان «سيد مكاوى»، واتسعت الشلة وأصبحت أكبر، إنما مع الظروف والأيام تكاد شلة «الحرافيش» أن تقتصر اليوم على ثلاثة من العجائز، أنا وعادل كامل والفنان أحمد مظهر، وإن كان أحمد مظهر مازال كله شبابا.

■ هل يمكن أن تحكى لنا عن علاقتك بكل فرد من أفراد الحرافيش؟

– شلة الحرافيش لا تذكر كأفراد وإنما هى مجموعة كاملة.

■ هل هناك سمات معينة لأفراد «الحرافيش»؟

– أغلبهم إما أديب أو فنان أو محب للأدب والفن، وما جمع هذه الشلة هو الود والصداقة.

■ وما الذى جعل شلة الحرافيش تنكمش؟

– البعض انتقل إلى رحمة الله والبعض انتقل إلى الخارج والبعض تزوج وغير أسلوب حياته. لقاء «الحرافيش» كان يتميز دائما بروح الفكاهة، تغير روح اللقاء بعد هزيمة ١٩٦٧ فأصبح لقاء جادا وكئيبا، أما الآن فلقد أصبح اللقاء أقرب إلى السمر.

■ أين يتم لقاء الحرافيش الآن؟

– فى بيت أحمد مظهر كل يوم خميس.

■ وأين كان يتم اللقاء فى البداية؟

– فى منزل محمد عفيفى.

■ من الذى أطلق اسم «الحرافيش» على الشلة؟

– أظن أنه «أحمد مظهر».

■ وما سبب التسمية؟

– على سبيل الفكاهة ومعناها الصعاليك.

■ فى مقهى «عرابى» كنت تلتقى بمجموعة أخرى هم أصدقاء الصبا، فهل انقطع اللقاء بهم؟

– لقائى بهم مازال مستمرا حتى لو لم يعد هناك لقاء أسبوعى، إلا أن الود والمعرفة متصلة، لكن مواصلات القاهرة بظروفها الحالية هى التى منعت اللقاء المنتظم، حيث لا تتوفر لى فى هذه السن وسيلة مواصلات أستطيع أن أعتمد عليها.

■ كيف استمرت صداقاتك منذ الصبا حتى الآن رغم أنك تعتبر نفسك شخصية انطوائية؟

– لا يجب نسيان الأصدقاء القدامى، نحن نشأنا فى حى واحد

وظللنا فيه والقليلون الذين ابتعدوا عنه شعروا بالارتباط، فمن انتقل منه انتقل بعد أن تم النضج والتكوين، بحيث أصبحت مهمة الحصول على صديق جديد مهمة صعبة.



■ السحاب يحرك النفس، والقمر سيد الكل.

■ صوت «أم كلثوم» يوحى لى بالربيع.

■ على النيل أمام بيت الرئيس السادات كان مكانى المفضل .

■ يسرنى جدا أن تكون فى يدى وردة أستمتع برائحتها.

■ فيروز من الأصوات الجميلة وقد قدمت مع الرحبانية أغانى وألحاناً فذة.

● مارس ١٩٩٩ ●

قد يدهش البعض فى البداية من أننى قد أخذت موعدا مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ، ثم إخترت الزهور لتكون مدخلا لحوارى معه بينما الحقيقة أن لهذا الاختيار عدة أسباب منها أن أديبنا الكبير يشعر بالملل عندما يزوره صحفى فيكرر عليه أسئلة تقليدية فى الأدب سبق أن أجاب عنها عشرات المرات.

أما السبب الأهم فهو أننى أعلم جيدا، وعن تجربة، أن أجمل الأحاديث التى أجريتها مع الكاتب الكبير هى تلك الأحاديث التى كانت الأسئلة فيها غير مطروقة وغير معتادة خاصة أن أستاذنا نجيب محفوظ لديه القدرة التلقائية على أن يفلسف كل الأمور، فيعطى إجابات شديدة العمق عن أسئلة تبدو شديدة البساطة، فهو السهل الممتنع.

ولقد إنتقلت معه من الكلام عن الزهور إلى الكلام عن الفصول الأربعة، إلى الكلام عن الطبيعة، وما وراء الطبيعة وما أجمل تأملاتك يا كاتبنا الكبير عندما تكون حول الطبيعة وما وراءها، حيث الفلسفة ورحيق الحكمة والبلاغة.

وإليكم الحوار الذى دار فى منزله المطل على النيل بحى العجوزة فى القاهرة، حيث تحيط بنا نباتات الظل المورقة التى تملأ غرفة الاستقبال.

فى البداية جاء الثناء منى على روعة النباتات داخل الغرفة فعلق قائلا:

أنا أحب النباتات جدا لكن زوجتى هى التى حولت منزلنا إلى حديقة سواء فى الشرفة أو فى داخل المنزل. وزوجتى هى المسئولة بنفسها عن رعاية كل هذه النباتات.

أقول لكاتبنا الكبير أن النباتات الكثيفة فى شرفة منزله بالطابق الأول تبدو كأنها علامة مميزة يعرف منها الذى يمر فى الشارع أن

خلف هذا اللون الأخضر يقيم نجيب محفوظ.

– يضحك ويقول: أما أنا فاعتبرها تحية من أهل البيت لمن يمر فى الشارع.

■ ومن النبات ننتقل إلى الزهور، فأسأل أديبنا الكبير أى الزهور يفضل؟

ـ فيقول: أحب الورد البلدى لرائحته الجميلة، ويسرنى جدا أن تكون فى يدى وردة أستمتع برائحتها، كذلك أحب الفل والياسمين والريحان، أما أنواع الزهور الأخرى الحديثة فهى شكل بلا رائحة، لذلك يتم استعمالها فى المناسبات الجميلة، وينتهى دورها عند هذا الحد.

■ هل من بين عاداتك شراء باقة من الزهور عند عودتك إلى المنزل فى المناسبات السعيدة؟

ـ عندما كانت الحركة سهلة بالنسبة لى كنت دائما أهنئ الآخرين فى المناسبات السعيدة بإرسال الورود، أما الآن فلا أستطيع أن أهنئ الآخرين إلا بإرسال التلغراف وإن كنت مازلت أفضل التهنئة بالورود، أيضا كثيرا ماكنت أشترى معى باقة من الورد فى المناسبات السعيدة هنا فى البيت.

■ وهل تجيد تنسيق الزهور؟

ـ لا ليس إلى هذه الدرجة.

■ ما الذى يعنيه الربيع عندك؟

ـ الربيع رمز للجو الجميل بعد برد الشتاء فهو الدفء والخضرة وتفتح الأزهار وكل العواطف المتعلقة بهذه الأمور.

مواسم للحب

إذن هل تعتقد أن الربيع وهو موسم الإنبات، هو أيضا موسم

للحب؟

- الربيع رمز للحب لأنه ليس شديد البرودة مثل الشتاء وليس شديد الحرارة مثل الصيف، فيكون الإنسان فى حالة من الانتعاش، لذلك فمن الطبيعى إذا اخترنا فصلا للحب أن يكون فصل الربيع.

■ من هو الشخص الذى يوحى لك بالربيع؟

- أستطيع أن أقول أنه صوت أم كلثوم.

■ من أشهر أغانى الفنانة فيروز «حبيتك بالصيف، حبيتك بالشتاء» هل سمعتها؟

- نعم.

■ لماذا لم تتكلم أبدا عن «فيروز» بينما تتحدث دائما عن أم كلثوم؟

- أبدا كل ما فى الأمر أنه لم تأت مناسبة لكن فيروز صوت من الأصوات الجميلة جدا فى حياتنا الفنية بلاشك، وقد قدمت مع الرحبانية أغانى وألحانا فذة.

■ أى فصول السنة أحب إلى نفسك؟

- الحقيقة الشتاء، خاصة عندما كانت صحتى جيدة.

■ لماذا؟

- لأن الشتاء هو الذى أكتب فيه، وتكون صحتى خلاله فى أحسن أحوالها، يليه الخريف، وأنا فى رأيى أن الخريف هو ربيع مصر لأن رياح الخماسين تقلل من جمال فصل الربيع فى موعده المعتاد فى مصر وتقتطع منه جزءا كبيرا لكن لا يوجد مثل صفاء الخريف فى مصر.

■ هل السحب وتشكيلاتها فى السماء جزء من جمال الخريف؟

- جمال الخريف يأتى من جوه الجميل فهو بارد، لكن ليس برودة الشتاء الشديدة. وفيه نفرح بأننا تركنا الصيف وحرارته، وتعطى السماء أشكالا شديدة الجمال خاصة فى مدينة الإسكندرية فنجد أن الخريف هناك آية من آيات الجمال حيث البحر والسحاب.

يصمت قليلا ثم يضيف: رواية «السمان والخريف» من وحى الخريف.

■ أقول: بمناسبة أننا قد أشرنا إلى رواية «السمان والخريف» وهى تحمل عنوانا مستوحى من الطبيعة فماذا عن الحب تحت المطر؟

ـ هذا العنوان كان رمزا للمتاعب التى تعرضت لها البلاد خلال فترة معينة.

■ هل تحب المطر؟

ـ بشرط ألا أكون فى الشارع

■ إذن من وراء الزجاج.

ـ بالضبط فمشهد الأمطار من وراء الزجاج يكون شديد الجمال، وخاصة عندما تكون الأمطار فى منطقة مستعدة للمطر مثل الإسكندرية زمان، فقد كان نزول الأمطار أشبه بوسيلة لغسل الشوارع وبمجرد توقف الأمطار تصبح الشوارع جافة أما الآن فلم تعد الشوارع مجهزة كما ينبغى لاستقبال الأمطار.

■ هل شرفة منزلك بمدينة الإسكندرية تطل على البحر؟

ـ كانت تطل على البحر، وكان الجلوس فيها شيئا لا يمكن وصف جماله، حيث كان أمامنا قصر قديم لا يمنع رؤية البحر الممتد لكن للأسف تم هدم القصر وأقيمت عمارات مرتفعة منعت عنا رؤية البحر.

■ مسألة تغير جغرافية المناطق هى بالفعل مشكلة، حيث يختار الإنسان أحيانا مكانا للإقامة وبعد أن يقيم فيه يجد أن المكان قد تغير؟

ـ بدون شك

■ شروق وغروب

■ هل تحب مشهد الغروب فى الإسكندرية مع البحر؟

ـ جدا. فهو مشهد مدهش، حيث نزول الشمس وحمرة الشفق إلى أن تغيب الشمس ولا يبقى منها شىء، ثم تختفى. هذا المشهد من المناظر

البديعة التى تأسرنى.

■ ومشهد الشروق؟

ـ الشروق بالتأكيد جميل مثل الغروب وربما أجمل، لكنه مشهد من الصعب رؤيته إلا لمن يستيقظ مبكرا، وهو بدون شك مشهد جميل جدا، لكننى لم أره كثيرا.

■ هل جمال الغروب منبعه هو أنه يوحى بالرحيل؟

ـ هو جمال مشوب بشىء من الأسى أو الحزن، لذلك فهو مثلما تقولين يذكرنا بالرحيل.

■ لعل الرحيل له شجن أو حزن نبيل؟

ـ إلا إذا كان الإنسان راحلا من مكان غير متوائم فيه فيكون للرحيل فرحة.

■ كيف ترى تعبير «ما وراء الطبيعة»؟

ـ ما وراء الطبيعة هو الفلسفة. وقد أطلق عليها هذا منذ أيام «أرسطو» حيث كان يقوم بتدريس أشياء متعلقة بالنبات والحيوان والطبيعة، ثم يتحدث معهم عن السبب الأول والعلل الأولى فاطلق عليها أنها ما وراء الطبيعة التى تمت دراستها وكان يتحدث عن واجب الوجود، وعن الوجود، وعن المصير، ومثل هذه الأشياء.

■ إلى أى مدى انشغلت بمثل هذه التساؤلات؟

ـ عندما كنت أدرسها وأنا طالب، ثم ظلت فى ذهنى بعد ذلك، لأننى لم أنقطع أبدا عن قراءة الثقافة العامة إلى أن توقفت عن القراءة رغما عنى.

■ الشاعر الكبير «إيليا أبو ماضى» له بيت شعر يقول فيه: «قال السماء كئيبة وتجهما ـ قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما».. هل السحاب الكثيف من الممكن أن يعطيك إحساسا بالكآبة؟

ـ لا. أنا أحب السحاب، السحاب يعطى أجمل المناظر وأحلى المعانى ويعطينى إيحاءات ويحرك النفس، فحركة السحاب قد يترتب

عليها أن تتولد أفكار وأخيلة.

اللقاء بالقمر

■ والقمر؟

- القمر هو سيد الكل، فالليالى القمرية شىء بديع، ولقد كانت لى جلسات على شط النيل مرتبطة بالقمر.

أما المكان الذى كنت أحب أن ألتقى فيه بالقمر فهو الشارع الذى يقع فيه بيت الرئيس أنور السادات على النيل، ولكن قبل أن يسكن السادات فيه، كنت أذهب إلى هناك وأنا أحمل معى وسادة صغيرة «بلاستيكية» فقد كانت المنطقة المطلة على النيل كلها أرضا مزروعة ولم تكن توجد هناك ولا عوامة واحدة. وكنت أضع الوسادة على الخضرة لمنع الرطوبة وأجلس أشاهد القمر وأظل فى صحبته بالساعات طوال أجازات الصيف مستمتعا مع القمر بالنيل والخضرة والسريان.

■ هل هناك مكان معين تحب الجلوس فيه وقت المطر مثل المكان الذى تذهب إليه للقاء القمر.

- المطر صدفة وليس بميعاد لكن القمر هو الذى بموعد، فالمطر قد يصادف الإنسان وهو يعبر الطريق، فلا استعداد له، وجمال المطر يأتى من أنه لا موعد له، فقد يكون الإنسان جالسا فى البيت وتمطر السماء، فيخرج إلى الشرفة للمشاهدة.

■ ونحن نتحدث عن الطبيعة هل تحب النور أكثر أم الظلام. الليل أم النهار؟

- أحب النهار أكثر من الليل، فالظلام من الممكن أن يحبه الإنسان لكن فى حالة الشعور بالأمان فعندما يكون الإنسان مثلا فى هضبة الأهرام مع أصدقائه ويأتى الليل فيشعر بجمال الليل إنما فى الشوارع المظلمة لا.

■ وهل الإيحاء بالكتابة يكون فى الليل أم النهار؟

- هذا يأتى حسب المزاج.

■ هل عدم حبك لفصل الصيف يعود إلى إصابتك بحساسية فى عينيك تمنعك من الكتابة خلال الصيف.

- نعم وأنا أكون فى أسوأ أحوالى عموما خلال فصل الصيف فالجو لا يعجبنى والحساسية فى عينى تزعجنى ومزاجى لا يكون جيدا.

■ مع عدم قدرتك على الكتابة فى الصيف هل كنت تستطيع الاحتفاظ بالفكرة التى تأتيك صيفا إلى أن يأتى الشتاء؟

- نعم. فالصيف كان يمنعنى من العمل، لكنه لم يكن يمنعنى من التخيل والتفكير.

لندن والخريف

■ طوال عمرك لم تسافر خارج مصر إلا زمان إلى اليمن ويوغسلافيا ومؤخرا منذ عدة سنوات زرت لندن لإجراء عملية جراحية، لكن لماذا لم تتحدث عن هذه الزيارة؟

- لأنها فترة مرتبطة بالمرض حيث كنت متعبا قبل إجراء العملية الجراحية، ثم أيضا كنت متعبا بعدها خلال فترة النقاهة فلم أتمكن من الاستمتاع بجمال لندن، وقد تصادف أن أجريت لى العملية الجراحية فى لندن خلال فصل الخريف، وكنت أرى الأمطار شديدة من وراء الزجاج أثناء وجودى فى المستشفى فكان مشهدا بديعا لكن المزاج لم يكن جيدا.

■ العصافير تحب الحدائق فهل الأستاذ نجيب محفوظ يحب العصافير؟

- أحبها جدا.

■ وإذا كانت العصافير فى قفص؟

- أحبها أيضا، وعندنا هنا عصافير فى البيت داخل قفص معلق بالشرفة. ويسرنى جدا شكلها، وعندما يكون عندى وقت فراغ أقضيه فى النظر إليها لأن شكلها جميل.

■ لمن تقول «صباح الورد»؟

- أقولها لكل صديق أو حبيب أقابله فى الصباح، وأنا عندى مجموعة قصصية تحمل هذا العنوان.

■ ليه يا بنفسج بتبهج، وانت زهر حزين. لمن تقولها؟

- يدندنها ثم يرد: أقولها لصالح عبدالحى صاحب الأغنية فصوته يبهج، بينما زمنه فات.

جمال عبدالناصر

■ الأشجار تموت واقفة ما تعليقك؟

- هذه حقيقة طبيعية لكننا نرمز بها إلى من يموتون فى ساحات الجهاد وهم واقفون أو وهم يعملون.

■ وعلى من تطلق تعبير الأشجار تموت واقفة؟

- على رجالنا العظام الذين ماتوا وهم فى ساحة الجهاد والعمل، على «سعد زغلول» وعلى «جمال عبدالناصر».

■ تذبل الوردة وتبقى رائحتها فيها. ما تعليقك؟

- أولا هذه أيضا حقيقة ولقد احتفظت بورد لسنوات، وظلت رائحته فيه، إنما هى جملة نقولها على الإنسان الذى يذهب عنه الشباب، لكن يظل عبير جماله موجودا.

■ وعلى من ينطبق هذا المعنى؟

- بعد تفكير طويل يقول: على عبدالوهاب وأم كلثوم فقد امتد بكل منهما العمر إلى سن كبيرة لكن لم تتركهما رائحة الجمال أبدا. فأم كلثوم كانت تطربنا وعمرها تجاوز السبعين عاما.

■ وأنا بلا تفكير أو تردد أعلق قائلة: وأنت يا أستاذنا العظيم ماشاء الله تجاوزت الثمانين ولا نشبع أبدا من جمالك، أقصد من كلامك.

يبتسم بتواضع فأحييه، وأتركه، وبالفعل لم نشبع من كلامه وتأملاته وتعابيره وروحه الطيبة.



- عبدالناصر قدم لمصر إنجازات عظيمة جدا، ومساوئ ضخمة جدا .
- الفساد وفشل الديمقراطية هما أكبر سلبيتين في عهد السادات، يقابلهما النصر والسلام، وهما أكبر إيجابيتين في عهده
- سعد زغلول هو الزعيم المثالي في نظري
- الحاكم تفسده مجموعة تحيط به كي تستفيد منه

● يوليو ١٩٨٣ ●

فى كتابه الجديد «أمام العرش: حوار مع رجال مصر» يجرى نجيب محفوظ محاكمة خيالية لحكام مصر منذ عهد «مينا» – الفرعون موحد الوجهين القبلى والبحرى – إلى عصر السادات مرورا بالفراعنة، هذا الكتاب لم يثر أية ضجة إعلامية على الرغم من أنه يتناول قضايا طالما أثارت خلافات حادة.

وهنا ألتقى بالأديب الكبير نجيب محفوظ فى حوار حول ما أثاره كتابه وحول الحكام والسلطة فى مصر.

■■

جمال عبدالناصر يسأل السادات:

– كيف هان عليك أن تقف من ذكراى ذلك الموقف العابر؟

– أنور السادات: اتخذت ذلك الموقف مضطرا إذ قامت سياستى فى جوهرها على تصحيح الأخطاء التى ورثتها عن عهدك.

– عبدالناصر: ولكنى عهدتك راضيا ومشجعا وصديقا؟

– السادات: من الظلم أن يحاسب إنسان على موقف اتخذه فى زمن رعب أسود خاف فيه الأب من ابنه والأخ من أخيه.

– عبدالناصر: وما النصر الذى أحرزته إلا ثمرة استعدادى الطويل له.

– السادات: ما كان لمنهزم مثلك أن يحقق انتصارا، ولكنى أرجعت للشعب حريته وكرامته ثم قدته إلى نصر أكيد.

– عبدالناصر: ثم تنازلت عن كل شىء فى سبيل سلام مهين، فطعنت وحدة العرب طعنة قاتلة وقضيت على مصر بالانعزال والغربة؟

– السادات: لقد ورثت عنك وطنا يترنح على هاوية الفناء. ولم يمد لى العرب يد عون صادقة، ووضح لى أنهم لا يرغبون فى موتنا كما لا يرغبون فى قوتنا كى نظل راكعين تحت رحمتهم فلم أتردد فى اتخاذ قرارى.

– عبدالناصر: واستبدلت بعملاق طالما ساندنا عملاقا طالما

ناصبنا العداء؟

– السادات: اتجهت إلى العملاق الذى بيده الحل. وصدقت الحوادث ظنونى.

– عبدالناصر: واندلقت فى الانفتاح حتى أغرقت البلاد فى موجة غلاء وفساد، وبقدر ما كان عهدى أمانا للفقراء كان عهدك أمانا للأغنياء واللصوص؟

– السادات: لقد عملت لخير مصر فوثب الانتهازيون من وراء ظهرى.

■■■

هذا الحوار بين عبدالناصر والسادات يعطى فكرة عن أجواء الكتاب، ويتضح من خلاله أن نجيب محفوظ يتخذ موقفا مؤيدا للسادات.

حول ذلك يقول نجيب محفوظ: «ما جاء فى الكتاب يمثل رؤيتى الكاملة، لكننى اخترت الشخصية المناسبة لنقد كل جانب. فقد يكون لى رأى فى معركة فيكون أفضل من يدلى بهذا الرأى هو تحتمس الثانى أو أن يكون لى رأى فى الدين فيتحدث أخناتون، وهكذا».

■ لكنك فى «أمام العرش» تتحيز بشكل واضح لكل من مصطفى النحاس وسعد زغلول وتحيى أنور السادات وتتردد تجاه جمال عبدالناصر؟

– أنا أنصفته فى الكتاب أكثر من بعض الأحاديث.

■ لا. ما جاء فى الكتاب عن عبدالناصر يماثل ما تذكره فى الأحاديث. فمضمون ما تقوله من رأى فى الأحاديث عن عبدالناصر هو أنه قدم لمصر إنجازات عظيمة جدا. ومساوئ ضخمة جدا، وهذا هو مضمون ما جاء عن عبدالناصر أيضا فى الكتاب؟

– إذن هذا رأيى فى عبدالناصر.

■ ألا ترى أنه الوحيد من بين الحكام الذين تضمن رأيك فيه نوعا من

القسوة؟

- هذه مسألة نسبية، فبعض من قرأوا «أمام العرش» قالوا أننى تعاطفت مع عبدالناصر أكثر من اللازم.

■ فى نقدك لجمال عبدالناصر جاء على لسان أحد الفراعنة أن من أخطاء عبدالناصر عطاءه لحركات التحرر فى البلاد العربية وفى العالم الثالث. وأنه قد كان من الأفضل أن يوجه هذا الاهتمام إلى مصر داخليا، حيث أننا نحتاج لكل الإمكانيات فى الداخل. أليست هذه دعوة إقليمية؟

- لا. ففى وقت من الأوقات تزعمت مصر الدعوة لتحرير كل الدول المستعبدة، هذه ليست مهمة دولة صغيرة مثلنا، هذه مهمة دولة عظمى أو هيئة الأمم، فنتيجة مطاحنة الدول المستعمرة هى أن «تفعصنا» هذه الدول لأننا لسنا فى حجمها، فمن العادة ألا يتم الاهتمام بالسياسة الخارجية قبل إصلاح البيت، لكننا قبل أن نصلح البيت كان اهتمامنا بالخارج، وبهذا الاهتمام أضعنا البيت.

■ لقد كانت مرحلة مد ثورى؟

- مد ثورى وفرح بها الثوريون فى الخارج واستفادوا منها، لكننا هنا أصابنا الضرر، مثلما يكون رب بيت كريم ينفق على الفقراء ويترك أولاده جائعين، عبدالناصر كان يريد أن يصبح زعيما عربيا وعالميا، وهذا ما ضيعنا، فلو اقتصر عبدالناصر على رغباته الوطنية لصنع من مصر شيئا كبيرا جدا، وهذا هو الخطأ نفسه الذى ارتكبه محمد على لكن عبدالناصر لم يستفد من الدرس، عبدالناصر زعيم وطنى مخلص، لكن إخلاصه ضاع فى أشياء أخرى.

■ لماذا يحظى عبدالناصر دائما بأكبر قدر من انقسام الناس من حوله، وهو أمر أوضحته أيضا فى «أمام العرش»؟

- لأن هناك أناسا من أنصار تبنى الثورات مثل اليساريين وقد كانوا متحمسين له، وهناك أناس من أنصار الوطنية المصرية كانوا

يعارضونه.

■ أكثر زعيم مصرى تمتع بحب الجماهير كان جمال عبدالناصر. أليس كذلك؟

– نعم، لأنه أدى خدمات للجماهير وأعطاهم آمالا كبيرة جدا مع أن أحدا لم يحقق للجماهير هذه الآمال إلا أنور السادات.

■ ألم تتضح الفروق الطبقية فى عهد السادات؟

– هناك أناس طفيليون اغتنوا، حدث هذا، لكن أنا أتحدث عن الشعب.

■ لماذا لم تنتقد فى «أمام العرش» موقف السادات من الطبقات؟

– جمال عبدالناصر قال له فى «أمام العرش» أنه كان أمانا للفقراء بينما السادات كان أمانا للأغنياء واللصوص وهى كلمة قاسية جدا.

■ فى نقدك لسلبيات أنور السادات فى «أمام العرش» كان التركيز على نقد موقفه من الديمقراطية، هل ترى أن خطأ الرئيس السادات الأساسى يتمثل فى موقفه من الديمقراطية أم فى النظام الاقتصادى الذى أدى إلى الفساد؟

– اتجه أنور السادات للديمقراطية ففشلت التجربة للأسف لأنها كانت تحتاج لتعاون من الطرفين، كذلك الفساد جاء نتيجة الانفتاح. السادات لم يكن يقصد أن يفسد البلد. وإنما كان قصده أن يخفف عنها ويفتح الباب للاستثمارات وغيرها فحدث الفساد. وأعتقد أنه لم يقف من الفساد موقفا حازما، وبالتالى فإن الفساد وفشل الديمقراطية هما أكبر سلبيتين فى عهد السادات، يقابلهما النصر والسلام وهما أكبر إيجابيتين فى عهده.

سعد زغلول ومصطفى النحاس

■ نأتى للجزء الأخير من الاتهام، وهو أن الكاتب الكبير نجيب محفوظ تحيز فى «أمام العرش» لكل من سعد زغلول ومصطفى

النحاس؟

– أنا عبرت عن عواطفي ورأيي.

■ على كل حال لقد ذكرت إعجابك بسعد زغلول ومصطفى النحاس في أحاديث لك من قبل. فما جاء في الكتاب يتفق مع الأحاديث.

– عموما هذه رؤية سياسية لا يمكن أن تخلو من العواطف مهما كان.

■ لكنك لم توجه أي اتهام تقريبا لسعد زغلول أو مصطفى النحاس؟

– فعلا، اتهامات بسيطة، فمثلا أنا كنت ضد أن يدخل سعد زغلول الوزارة وسجلت هذا، ومصطفى النحاس في الحقيقة من الصعب توجيه اتهام له لأن كل القوى كانت ضده وكان يدافع عن حقوق الشعب في ظروف سيئة جدا.

■ لكن هناك اتهامات كان من الضروري توجيهها له مثل علاقته بالقوى الأخرى، ومثل حادث ٤ شباط «فبراير»؟

– هذه أشياء تافهة بالنسبة لما فعله.

■ من هو الزعيم المثالي في نظرك؟

– الزعيم المثالي هو من تتجسد فيه آمال أمته في وقت من الأوقات فيكون خير من يعبر عنها بالرأي والإرادة وبالفعل.

■ هل هناك نموذج لهذا الزعيم؟

– سعد زغلول.

■ هل مازالت ثورة ١٩١٩ هي الأقرب لك؟

– طبعا هي أقرب الثورات إلى نفسي دون شك.

■ في بداية ثورة تموز «يوليو» امتنعت عن الكتابة لفترة. هل كان هذا موقفا من الثورة؟

– لا. كان السبب في الغالب هو أن عالما جديدا قد بدأ يتشكل في مصر. وبالتالي من يكتب عن الحياة والمجتمع يحتاج إلى بعض التريث.

صلاح الدين الأيوبى

■ لماذا لم تتعرض لحكام حققوا انتصارات كبيرة لمصر مثل صلاح الدين الأيوبى؟

– أنا لم أتبن من حكام مصر إلا من اتخذوا الروح المصرية. صلاح الدين لم يكن حاكم مصر بقدر ما كان حاكما عربيا وإسلاميا، لذلك هو ظل فترة فى مصر، لكن إنجازاته كانت من دمشق فى الحروب الصليبية، إنما ذكرت مثلا ابن طولون وكافور الإخشيدى.

■ لم تذكر أيضا «قطز» رغم أنه حارب التتار؟

– أنا اعتبرت المماليك حكاما أجانب مثل الإغريق والرومان.

العودة إلى التراث الفرعونى

■ فى رواياتك الأولى كنت متأثرا بالتراث الفرعونى مثل «رادوبيس» و«كفاح طيبة» وقد عدت الآن تستلهم التاريخ الفرعونى مرة أخرى؟

– لا توجد أسباب نستطيع أن نعتبرها خطة موضوعة للتأليف لأن الأفكار تأتى كيفما اتفق وتتم معالجتها سواء كانت لتاريخ فرعونى أو معاصر. فلا يوجد عندى قرار بالعودة إلى استلهام التاريخ الفرعونى. إنما «أمام العرش» هو آخر ما كتبته، وقبله كتبت قصة عن إخناتون و«أمام العرش» حوار سياسى مع حكام مصر وليس عملا فنيا أو روائيا.

■ ولماذا كتبت «أمام العرش» بهذه الطريقة؟

– كنت أريد أن أسأل جميع الحكام ووجدت أن أحسن طريقة هى المحاكمة، ولأن هناك طريقة قديمة فى التراث الفرعونى، لذلك استخدمت هذه الطريقة، فقد أردت أن أحاكم كل حاكم وأدلل فى الوقت نفسه على أن كل القيم التى نعمل بها الآن والتى نتطلع إليها لها أصل فى مصر القديمة.

من يفسد الحاكم

■ مادمنا نتحدث عن الحكام، هل نستطيع أن نقول أن الحاكم فى مصر تفسده مجموعة تحيط به كى تستفيد منه فتعوق صلته بالشعب؟

– هذا صحيح، لكن ما يشجع على الفساد أساسا هو نوع الحكم فالحكم الديمقراطى لا يشجع على التملق، وإنما يشجع على أخلاق أخرى.

■ هذا على مستوى المحيطين بالحاكم فماذا عن الشعب؟ هل الشعب المصرى أيضا يفسد حكامه؟

– كيف يفسد الشعب الحاكم؟ مادام الحاكم قد بدأ من منطلق خطأ. إذن لو أفسده الشعب بعد ذلك فإن الشعب لا يكون هو المسئول.

■ لكن الحكام فى مصر يبدأون عادة بدايات مطمئنة ثم يبدأ التراجع؟

– مادام الحاكم بدأ بالديكتاتورية فإن البداية لا تكون مطمئنة لأنه نظام نتيجته الفساد، لا توجد ديكتاتورية صالحة أبدا.

■ نحن نمجد الحاكم فى حياته، وبعد أن يمضى نقول أن عهده كان مليئا بالمساوئ، هل لو توافرت الديمقراطية فى عهد كل حاكم لتم نقده فى حياته وليس بعد مماته؟

– طبعا، كان سيشبع نقدا فى حياته وما يبقى بعد مماته هو ذكر الحسنات.



فى أخطر حديث سياسى

- الإسلام دين كل العصور بالاجتهاد
- لو كان الإسلام يطبق بالشكل الصحيح، لما أصبح هذا هو الوضع
- خريطة مصر السياسية هى:

- أن ينضم حزب الوفد إلى الحزب الوطنى فيمثلا الوسط
- وعلى اليسار حزب ماركسى وناصرى
- وعلى اليمين حزب دينى

● أغسطس ١٩٨٤ ●

لا أحد ينكر أن تاريخ مصر الاجتماعى والسياسى فى الخمسين سنة الماضية يمكن أن نقرأه بأمانة فى روايات الكاتب الكبير نجيب محفوظ فهو مصرى متعمق فى مصريته، نقل تاريخها بكل أمانة ودقة من خلال شخصيات عاش معها وتفانى فى دراسة واقعها، وحياة مصر فى الفترة التى عاشها نجيب محفوظ كانت زاخرة بالتغيرات السياسية التى كانت لابد أن تؤثر فى شخصياته فطغت السياسة عليها، أو غرقت هى فى السياسة، ولم تكن «ثلاثية» نجيب محفوظ إلا تعبيرا عن تاريخ مصر فى فترة ثورة ١٩١٩، ولم تكن «ميرامار» ولا «الكرنك» إلا تعبيرا عن فترة ثورة يوليو، ولم تكن «الحب فوق هضبة الأهرام» إلا تعبيرا عن فترة السبعينيات.

وأخيرا يتخطى نجيب محفوظ كل ذلك ويبحث عن «المدينة الفاضلة» مع ابن فطومة فى بلاد العالم بحثا عن نظام جديد يصلح لمصر والعالم الإسلامى، منتقدا الحال التى وصلنا إليها، وحتى نهاية الرواية الجديدة «رحلة ابن فطومة» لم يصل نجيب محفوظ إلى تلك المدينة، ولكنه يؤكد أنه ربما يصل إليها فى رواية لاحقة.

لعل أخطر قضية يتعرض لها نجيب محفوظ فى روايته الجديدة «رحلة ابن فطومة» هى قضية الإسلام وكل ما يتعرض له من أخطار، ومن خلال تصادم الحضارة الإسلامية متمثلة فى «ابن فطومة» مع حضارات الدول المختلفة التى يزورها تبرز قضايا على قدر كبير من الأهمية، وربما تلخص إلى حد كبير كل ما تتعرض له البلاد الإسلامية الآن.

يقول نجيب محفوظ: «لو كان الإسلام يطبق بالشكل الصحيح فى الدار الإسلامية لما أصبح هذا هو الوضع، وقد حاولت أن أؤكد هذا المعنى فى مناقشات الرحالة «ابن فطومة». وتتفرع من هذه القضية عدة قضايا لعل أهمها وأكثرها تأثيرا هى قضية الاجتهاد فى الإسلام، وهى بكل تأكيد أحد أسباب ما نحن عليه الآن.

وفى رحلة «ابن فطومة» تأكد هذا المعنى خاصة فى الحوار بين الرحالة وزوجته:

«هذه فعلا إحدى كوارث هذا العصر، فالاجتهاد توقف وكل التأخر الذى حدث للبلاد الإسلامية كان بسبب توقف الاجتهاد. ووقعت معظم البلاد الإسلامية ضحية شرائع كثيرة اضطرت أن تستوردها لأنها توقفت عن التفكير. ولو أنها استمرت فى التفكير لواجهت عصر اليوم بكل يسر فى كل قضية مع الاحتفاظ بالقيم الإسلامية وبالمعاصرة».

لكل العصور

«والإسلام حقيقة يناسب كل عصر لأنه يملك الطاقة والمرونة للتطور وهذا لن يتأتى إلا بالاجتهاد، فالإسلام عندما خرج من الجزيرة العربية واجه حضارات، لو سار بالأسلوب الذى سار به فى الجزيرة لما استمر فى العراق أو سورية أو مصر، لكن الإسلام عاش بالاجتهاد وبالمرونة الفكرية، فأصبحت مبادئه العامة صالحة لكل عصر، وحلا لهذه المعادلة نقول فعلا أن الوسط أفضل الأشياء فهناك مبادئ إسلامية خالدة لا تتغير مثل العبادة والتسليم لله وحده ومثل الفرائض، لكن فيما يتعلق بالمعاملات فى الأسرة وفى المجتمع وفى الاقتصاد نشأت أشياء جديدة تحتاج إلى نوع من الاجتهاد، فالزمن الذى تغلب عليه التجارة والزراعة تلاه زمن صناعى أول وثان وثالث لم يكن المسلمون الأوائل قد سمعوا به من قبل. فهناك أشياء لابد فيها من الرجوع إلى النبع الصافى. وأشياء يكون فيها الاجتهاد على ضوء هذه المبادئ بما يوافق روح العصر. فهل فى الإسلام مثلا تنظيم للفضاء بعد غزو الفضاء؟ لا. وهذا طبعا يحتاج إلى تفكير جديد.

■ لنجيب محفوظ رأى فى نظم الحكم المختلفة فى العالم الآن. هل أعلنت هذا الرأى بصراحة فى رواية «ابن فطومة»؟

— هذا صحيح، فالرحالة وصل إلى دار الحلبة وهى تشير إلى

النظام الغربى الرأسمالى، وبالذات أمريكا، ورأى أن هذا النظام متمسك بالحرية لأصحابه ولكنه يعتدى على الآخرين، بالإضافة إلى أن هذا النظام فيه قدر من الانحلال نتيجة التخلى عن بعض القيم متمثلة فى أشياء عديدة لعل أكثرها ظهورا هو مظاهرات الشذوذ الجنسى أما«دار الأمان» فهى تشير إلى النظام الشيوعى أو الاتحاد السوفيتى، وهو نظام مشكلته عدم وجود حريات بالإضافة إلى أن الجهاز الحاكم متميز بشكل كبير عن الشعب رغم ما ينادى به من المساواة التامة. التى تتحول إلى أكذوبة عند التطبيق، وأخيرا فإن دارا المشرق ودار الحيرة هى نظم فى العالم الثالث بشكل عام ومشكلتهما هى الاستبداد والظلم الاجتماعى.

وتأكيدا على أننى أردت تقديم تاريخ الإنسانية على اعتبار أن الرحالة يمثل إحدى دول العالم الثالث وقادم من دار إسلامية قدمت فى دار المشرق نموذجا لأديان غير سماوية.

■ ما هو انتماء نجيب محفوظ الحزبى؟

– أنا كنت وفديا قديما، إنما هل معنى ذلك أن أصبح مع الوفد الجديد لأننى كنت مع الوفد القديم؟ هذا يتوقف على ما هو الوفد الجديد. ومهما يكن فإن هناك خلافا بين الوفدين. القديم كانت مهمته وطنية بحتة وهى السعى من أجل الاستقلال، أما الوفد الجديد فإننى أتمنى ألا يخيب آمال الوفديين القدامى وأن يكون معارضة بناءة تستفيد منه الحرية والتنمية ويستفيد منه حزب الأغلبية والشعب. وأعتقد أن الوفد الجديد دخل فى مبادئ لا أرى بينها تناقضا وبين الحزب الوطنى، لذلك فقد قلت أنه بالنسبة لخريطة الأحزاب فى مصر، فإن حزب الوفد لابد أن يندمج فى الحزب الوطنى فيمثلا معا الاعتدال، وتطلق الحرية للأحزاب، فيوجد على يسارهم حزب ماركسى وناصرى، وعلى يمينهم حزب دينى، وتكون هذه هى خريطة مصر السياسية الحقيقية.

وإذا كان نجيب محفوظ قد حدد بدقة خريطة مصر السياسية، فإنه رفض أن يضع نفسه عليها وفضل أن يكون خارج دائرة الضوء السياسية، وعلى حد قوله: «أنا انتمائى قلبى، فأنا لا أحب أن أشتغل بالسياسة، لأننى كأديب أحب أن أحتفظ بحريتى».



نجيب محفوظ يرتل آيات من سورة الرحمن

ويقول:

- أنا معجب بالشيخ الغزالى
  وسيد قطب كان صديقى
- تبهرنى شخصية عمر بن الخطاب
  وعلى بن أبى طالب
- سعاد حسنى أجمل نجمة عرفتها مصر
- والفنانة شادية اهتدت لما هو أعظم من النجومية

● ديسمبر ١٩٩٧ ●

حديثي هذا مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ يثبت أنه لم يقل كل شيء، وأن بداخله جوانب جميلة مازلنا لم نتعرف عليها بعد، إنه هنا لأول مرة يفتح قلبه حول الجانب الديني في حياته.

ولأول مرة أجلس إلى كاتبنا الكبير فأستمع منه إلى آيات من سورة الرحمن باعتبارها أكثر سور القرآن التى يتأثر بها. كنت قد قلت له عندما اتصلت به تليفونيا فى بيته أننى أريد أن أجرى لقاء معه بمناسبة شهر رمضان المبارك.

فى ظلال القرآن الكريم

وفى بيته فاجأنى الكاتب الكبير عندما قلت له أننا فى شهر رمضان شهر القرآن أن أخذ يرتل آيات من سورة الرحمن حيث لم يكتف بالإجابة عن سؤالى حول أكثر سور القرآن الكريم تأثيرا فى نفسه، بل لقد برهن لى على ذلك بصوته الشجى وهو يرتل الآيات الأولى من السورة.

■ قلت له: إذن أنت تحفظ سورة الرحمن؟

فرد بصراحة أنه لا يحفظها بالكامل.

وعندما سألته عما إذا كان يحرص على قراءة القرآن الكريم فى رمضان بالذات.

إذا به يرد: بل إننى عندما كنت قادرا على القراءة كنت أحرص على قراءة القرآن الكريم خلال العام بأكمله وليس فى رمضان وحده.

ثم يذكر لأول مرة أن برنامجه اليومى كان قد خصص به وقتا معينا لقراءة القرآن الكريم، بحيث يستكمل يوميا القراءة من حيث توقف فى اليوم السابق، وبالتالى يختم القرآن الكريم كل فترة ليبدأ فى قراءته من جديد وهكذا.

■ أسأله: من هو المقرئ الذى تحب الاستماع إلى القرآن الكريم بصوته؟

– يرد: الشيخ على محمود.

■ هل كنت تحرص على القراءة فى تفاسير القرآن الكريم؟

– يرد: قرأت عدة تفاسير للقرآن الكريم.

ثم يضيف: وآخر تفسير عندى الآن هو «فى ظلال القرآن» لسيد قطب.

أقول: كانت لك علاقة بسيد قطب.

يرد : طبعا.

■ ما الذى تذكره عن تلك العلاقة؟

– سيد قطب كان صديقى وقد كان يجلس معنا فى كازينو «أوبرا» وهو أول من كتب عنى وقد فوجئت بسجنه الأول، وعندما خرج من السجن قمت بزيارته فى بيته بحلوان، وكان معى المرحوم عبدالحميد السحار، والحاج أحمد السحار، والأستاذ سعيد السحار أطال الله عمره، وفى هذه الزيارة وجدت الوجه الدينى له، وقد ذكر لى فى تلك الفترة أن هناك عملا معروضا عليه فى العراق. ونصحته وقتها بأن يسافر كى يغير الجو الذى هو فيه. فقال لى: «أنا شغلى هنا» وللأسف أننى لم أفهم ما يقصده بتلك الجملة وقتها، لكن حدث أن تم إلقاء القبض عليه للمرة الثانية، ولم أكن أصدق أن الحكم عليه بالإعدام سيتم تنفيذه، فقد كنت أظن أن الحكم سيعقبه عفو لكنى فوجئت بتنفيذ الحكم سريعا وتأثرت وقتها بشدة.

■ هل قرأت أعمال سيد قطب؟

– قرأت كل أعماله تقريبا.

■ وما تعليقك على كتاباته؟

– كان ناقدا جيدا، وأيضا كاتب قصة وشاعرا جيدا، لكن كان يغلب عليه أنه مفكر أدبى، وكان فى غاية الذكاء.

الشيخ الغزالى

أقول: عندما نشرت رواية «أولاد حارتنا» فى الستينيات قام فضيلة الشيخ محمد الغزالى بالهجوم عليك. لكن عندما تعرضت لمحاولة الاغتيال قام بزيارتك فى المستشفى.

فيكمل لى نجيب محفوظ قائلا: كما قام بزيارتى فى البيت أيضا.

ويضيف: لقد كانت علاقتى به طيبة جدا، وأذكر أننى فى الأيام التى كنت فيها مازلت قادرا على القراءة أن الشيخ الغزالى كان يكتب فى جريدة الشعب، وقد كتب كلمة طيبة جدا فى حقى عندما تعرضت للهجوم..

■ هل علاقتك به مقصورة على فترة المرض؟

– علاقتى به من بعيد، فأنا معجب به، وقرأت معظم كتبه، وهو من مفكرى الإسلام العظام.

■ هل تذكر أعمالا معينة للشيخ الغزالى لفتت نظرك؟

– كتابه «مائة سؤال عن الإسلام» لأننى أرى أنه ثقافة دينية وتعليمية هائلة.

ومن كتبه الأخيرة «التفسير الموضوعى للقرآن الكريم» وهذا الكتاب تم تصويرى معه حيث طلب منى قسم النشر بالجامعة الأمريكية التقاط صورة كبيرة مع هذا الكتاب للدعاية له.

للشيخ الغزالى كتاب مهم أيضا هو كتاب «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» وقد تعرض لهجوم شديد بسببه.

■ أقول: سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فيردد نجيب محفوظ: صلى الله عليه وسلم.

فأكمل السؤال قائلة أن السيرة النبوية قد كتب فيها العقاد كما كتب محمد حسين هيكل وطه حسين، ثم عبدالرحمن الشرقاوى، فكيف ترى الفرق بين ما كتبه كل منهم؟

– أنا قرأت سيرة ابن هشام، والسيرة فى التاريخ القديم، كما قرأت لهيكل والعقاد وطه حسين لكننى لا أذكر أننى قد قرأت ما كتبه الشرقاوى:

ما أتذكره أن «هيكل» كان تاريخيا فى التناول. «العقاد» كان يصور الشخصية، لأنه كان يقرأ التاريخ ثم يستخلص منه مفتاح الشخصية ويتحدث عنه، أنا أعجبت جدا بكتاب العقاد. أما «طه حسين»

فكانت كتاباته أشبه بالقصص باعتباره قد كتب «على هامش السيرة» وليست السيرة نفسها. أيضا «توفيق الحكيم» كتب «السيرة بالحرف فى صورة حوارات»، والجميل فيها أن ما كتبه لا يتضمن أية كلمة لتوفيق الحكيم فكل الحوار فى كتابه عن سيرة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مستخلص من كتب السيرة وهو كتاب ممتع جدا.

■ ما أكثر شيء أثر فيك فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

- السيرة كلها مؤثرة، فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مثال للأمانة على الرسالة، وقد بلغها وعانى فى ذلك ما عاناه ثم إنه حقق ما نادى به فى شكل دولة وعلاقات إنسانية، فعظمته كبيرة جدا.

■ من الشخصية التى انبهرت بها فى التاريخ الإسلامى؟

- عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب.

■ لماذا؟

- عمر بن الخطاب كحاكم يعتبر حاكما مثاليا فى أى زمان ومكان.

على بن أى طالب الفارس الشهم، الحكيم، القاضى، البليغ.

الصلاة لأول مرة

■ أسأل أستاذنا الكبير نجيب محفوظ: هل تذكر أول مرة أديت فيها الصلاة؟

يرد: فى سن ٧ سنوات تقريبا.

■ ما تأملاتك حول الصلاة؟

- الصلاة عبادة ورياضة نفسية وتجربة أخلاقية كبيرة.

■ هل تذكر أول مرة صمت فيها؟

- أول مرة صمت فيها كان عمرى أيضا ٧ سنوات، وكنت أطلع فوق السطوح أنظر إلى مئذنة سيدنا الحسين انتظارا لصعود المؤذن ليؤذن لصلاة المغرب.

■ فى روايتك «ابن فطومة» قلت لو كان الإسلام يتم تطبيقه بالشكل

الصحيح فى البلاد الإسلامية لما أصبح هذا هو حالنا، فكيف ترى التطبيق الصحيح للإسلام؟

يرد: أغنانى عن الإجابة أئمة فى الإسلام مثل الشيخ محمد عبده، أن الطريق الصحيح هو بالاجتهاد.

■ تكررت فى رواياتك بصورة مختلفة أزمة البطل مع الدين أو فى البحث عن سر الحياة. بعد مرور سنوات طويلة على كتابتك لتلك الروايات كيف تنظر الآن لهؤلاء الأبطال؟

- إذا كانت الأزمة مدعاة للفكر، إذن هذا شيء جيد، البعض فى سن المراهقة، وغرور الشباب يبتعد عن الدين، ثم بالتأمل والنضج يعود إليه فكأنه قد دخل الإسلام من جديد، لكن بالعقل وليس بالوراثة.

■ أقول: بمرور الزمن اختلفت معالجتك لأزمة وقوع الإنسان فى أخطاء لم يكن يريد ارتكابها. في «زقاق المدق» عالجتها بطريقة، ثم بعد ربع قرن فى رواية «قلب الليل» عالجتها بطريقة أخرى، كما عالجتها أيضا فى «اللص والكلاب» والآن بعد مرور كل هذه السنوات هل اختلفت نظرتك لهذه الأزمة؟

- لم يحدث أن قرأت رواية لى مرة أخرى بعد صدورها.

■ لكن ألا يزورك أبطالك فى الخيال؟

- لا. أبدا، فهم ينفصلون بمجرد خروجهم إلى الورق ويصبحون ملكا للناس.

■ ألا يخطر على بالك أى بطل من أبطال رواياتك؟

- قليلا ما يحدث هذا.

■ مثل من الذى زارك مؤخرا؟

- يزورنى بعض الأبطال الذين تكون لهم أصول فى الحياة عزيزة علىّ مثل أبطال «المرايا».

■ وهل هناك مرحلة معينة من حياتك تستعيدها حاليا؟

– أحيانا أتذكر أيام الطفولة والأصدقاء الذين كانوا معنا ورحلوا.

■ ما الذي يؤثر في الإنسان أكثر. الزمان أم المكان؟

– الزمان والمكان كلاهما شيء واحد لا ينفصل عن الآخر لكن إذا كان الإنسان في مكان ثابت يصبح الزمان هو المؤثر فيه، أما إذا كان متحركا في أمكنة عديدة إذن المكان هو الذي يؤثر فيه مثل الزمان وأكثر.

■ المحامي «عادل كامل» صديق عمرك في «شلة الحرافيش» قرر الهجرة إلى أمريكا بعد أن تجاوز سن السبعين أليس من الغريب أن يهاجر الإنسان في مثل هذا العمر الكبير؟

– «عادل كامل» هاجر من مدة لأن بناته الثلاثة تزوجوا في أمريكا، وكان يزورهم كل عام، ثم طلبوا منه البقاء معهم باعتبار أنه ليس له أحد في مصر بعد أن توفيت زوجته، كان مترددا في البداية ثم حصل على الجنسية وبقي هناك.

■ أستاذ نجيب محفوظ معروف عنك الانتظام الشديد في المواعيد، وكان لك طوال عمرك نظام يومي محدد، كيف أثر الزمن على هذا النظام حاليا؟

– كل شيء تغير، أنا الآن أنام بمنوم، فأتأخر في النوم في المساء، وبالتالي أتأخر في الاستيقاظ في الصباح لكني لا أنام كثيرا حيث أصحو حوالي الثامنة أو الثامنة والنصف، ثم يأتي لي صديقي الذي يقرأ لي جريدة الأهرام ثم يأتي الطبيب الذي يعالج يدي، وبعد الظهر فيما عدا يوم السبت يزورني الأصدقاء، نخرج ونجلس في أحد الأماكن، أستمع لأحاديثهم، أما يوم السبت فأقابل فيه «محمد سلماوي» لحوار الأهرام، وللمقابلات الشبيهة بلقائي هذا معك.

■ هل التمشية في البيت بأمر الطبيب؟

– لا. أنا كنت أحب المشي، وكنت أحب أمشي في القاهرة كلها

والآن أمشى فى هذه الصالة.

■ ما الفرق بين التمشية فى القاهرة والتمشية فى البيت؟

- فى القاهرة كنت أمشى خلال ساعات الصباح الصافية وفى شوارع النيل والأندلس وأماكن جميلة، أما هنا فأنا أمشى بين أربعة جدران.

■ ألا تشعر أنك تحفظ تفاصيل الجدران وكل الأركان حولك؟

- فعلا، ويتم الإفراج عنى بالخروج بعد الظهر.

شادية وسعاد حسنى

قبل نهاية الحوار مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ طلبت منه أن يلخص لنا مدى تأثير السنين على الإنسان.

فرد أن السنين تأخذ وتعطى ، فالسنون تزيد الإنسان فى جوانب مثل المعرفة والخبرة، لكنها تأخذ منه فى جوانب أخرى مثل الصحة.

■ قلت: لكن السنين تؤثر فى البعض بصورة أشد، وذكرت له مثالا لذلك ما جرى مع الفنانة سعاد حسنى التى ابتعدت عن المجتمعات وعن التمثيل على الرغم من أنها لم تعتزل، وأن هناك من وصفوا ابتعادها بأنه اكتئاب، وطلبت من كاتبنا الكبير التعليق على حالة سعاد حسنى مع الزمن.

وإذا بإجابته دون أن أقصد تعود بحوارنا إلى الدين والالتزام الدينى مثلما كانت بداية حديثنا عن الدين بمناسبة شهر رمضان.

حيث أجاب ببلاغة قائلا: إن قسوة الزمن على النجوم واضحة، فسعاد حسنى كانت أجمل نجمة عرفتها مصر، وكانت سمعتها الفنية عالية جدا، بالتالى عندما يكبر شخص بهذه الحالة ولا يجد المجال مفتوحا لمواهبه مع تغير الزمن فقد يحدث له أحد أمرين، إما أن يكتئب أو أن يهتدى لما هو أعظم من النجومية، مثلما فعلت الفنانة «شادية».

■ أقول: لقد ارتدت الفنانة شادية الحجاب واعتزلت.

فيؤكد كاتبنا الكبير ما سبق أن قاله حيث يضيف: لقد استبدلت

شادية شيئا بشيء، والجديد أقيم وأعظم.

ومع هذا الرأى الرائع لكاتبنا الكبير شعرت بالاكتفاء.

وخرجت من اللقاء مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ، وأنا أشعر أنه مثل معظم أولاد البلد البسطاء فى مصر، يملك إيمانا فطريا بسيطا، ونية قلبية خالصة، وأنه وهو الدارس للفلسفة الذى قدم فى رواياته علامات الحيرة الفلسفية والدينية على لسان العديد من أبطاله، إلا أنه يعيش وجدانيا ودينيا مع الفطرة السليمة، فليبارك الله لك يا كاتبنا الحبيب، وليوفقك بفضله إلى ما يرضاه وكل عام وأنت بخير.



نجيب محفوظ
واللعب فى قلب الأسد

- أدندن مع نفسى «زورونى كل سنة مرة» و«على قد الليل ما يطول»
- ربما كنت فرحت أكثر لو حصلت على نوبل وعمرى أصغر بعشرين عاما
- كرة القدم رياضة ممتعة جدا
- جائزة نوبل أخرجتنى من النظام فقد كنت أستيقظ فى الخامسة وأصبحت أستيقظ أحيانا فى الخامسة والنصف

● أغسطس ١٩٩٠ ●

ذهبت إلى أستاذنا الكبير نجيب محفوظ وفى ذهنى صوره الأخيرة التى تنشر له والتى يبدو فى معظمها مهموما، ورصدت ما نشر له من أحاديث خلال الفترة الأخيرة، فوجدت الأسئلة تتكرر والإجابات تتكرر، بل وجدته يشكو هو شخصيا من تكرار الموضوعات التى يسأل فيها، ومن أنه يضطر لتكرار الإجابات نفسها، ولأننى قد أجريت مع كاتبنا الكبير العديد من الحوارات طوال السنوات العشرة الماضية، بعضها أجريتها معه على مقهى «الشانزليزيه» وكذلك كازينو «جليم» بالإسكندرية والبعض الآخر فى كازينو «كليوباترا» على نيل الزمالك وفى كازينو «قصر النيل» وفى مقهى «على بابا» وبالطبع فى مكتبه بالأهرام دون أن يتشابه أى حديث من أحاديثى مع كاتبنا الكبير مع أى حديث آخر لى معه، مع ذلك عندما ذهبت إليه هذه المرة شعرت بأن مهمتى أصعب، فهو منذ نوبل يتلقى طلبات بلا عدد من مصر والدول العربية ومختلف الدول الأجنبية لإجراء حوارات وهو يشكو من تعبه من التكرار، فماذا أقول له؟!

لم أحمل ورقة ولا أسئلة وابتعدت تماما عن الأسئلة التقليدية حول أدبه وشخصيات رواياته وما إلى ذلك. ذهبت وفى ذهنى أننى أريد أن أتحدث مع كاتبى المحبوب منذ عرفت القراءة عن همومه التى أرى ملامحها فى صوره فى الفترة الأخيرة.

وكأن كاتبنا الكبير قد أشفق علىّ من سيرة الهموم فإذا بالحوار يأتى مليئا بالضحك والابتسام والتفاؤل، بل النكتة أحيانا، ووجدت أننى أمام الروح الجميلة لنجيب محفوظ ابن البلد، الطيب، البسيط، المتواضع الذى يضحك من أشياء كثيرة وعلى أشياء كثيرة، فجاءت ضحكاته المجلجلة عبر جلستنا صافية عليلة، شبيهة بما يبعثه النبات الأخضر الذى نجلس إلى جواره من حيوية على المكان.

بدأ حوارنا بسؤالى عن همومه وانتهى الحديث بأنه «يدندن» مع نفسه بـ «على قد الليل ما يطول»، أما قلب الحديث فقد دار حول ذكرياته مع لعبه فى مركز دفاع الحسينية وفى «قلب الأسد» وعن الكرة الآن وكأس العالم.

والله زمان يا أستاذنا، فلم أكن أعرف أن سيرة الكرة منعشة لقلبك وذاكرتك إلى هذه الدرجة.

عندما سألته في البداية عن صوره الأخيرة التى يبدو عليه فيها أنه يحمل الهم لم يجب فى الحال، بل مر بفترة صمت طويلة وكأنه يبحث عن التعبير الدقيق ثم قال:

- أنا أشعر بالتعب من ملاحقة الأحاديث المحلية والخارجية لمدة عامين، وبالتعب لما حدث بعينى اللتين أصبحتا كأذنى حيث ضعف البصر بشدة مثلما سبقه ضعف السمع، مما جعلنى أشعر بأننى قد أصبحت محروما من نعم كثيرة فلا أستطيع مشاهدة سينما أو تليفزيون أو قراءة كتاب، والكتابة أصبحت مقررة بأمر الأطباء لمدة ساعة واحدة فقط يوميا، لكن مع تصميمى على ألا أستسلم أو أقع فى الضجر، إلا أن ملاحظتك ربما تكون فى محلها.

نحن هنا

■ نحن شعب نتعلق بشدة بما يفرحنا، فقد فرح الناس من مختلف الفئات بنوبل نجيب محفوظ ثم فرحوا فرحة من نوع آخر بالمشاركة فى كأس العالم. فى هذين النموذجين هل كان تعلقنا بالفرحة سببه أننا نريد أن نقول «نحن هنا»؟

- أى انتصار من أى نوع يفرح وعندما يأتى الانتصار للغارق فى الهموم فلاشك أنه فى هذه الحالة يفرح أكثر ويتعلق به كتعويض.

■ وهل تابعت مباريات كأس العالم؟

- تابعت المباريات التى كانت تتم إذاعتها فى الساعة العاشرة، فالمباريات هى الشيء الوحيد الذى لا أحتاج فيه إلى سمع ولا قراءة حوار، فقط زوجتى تحدد لى أسماء الفريقين حسب اللون الذى ترتديه كل فرقة ثم تتركنى للمشاهدة ولأننى «لعيب» قديم فقد استمتعت بها غاية الاستمتاع.

■ معنى هذا أنها أيقظت فيك روح اللعب القديمة؟

– نعم لأنني كنت أجلس بين الساعة العاشرة وحتى موعد النوم فى الثانية عشرة للمشاهدة والمتابعة. على عكس الأيام الأخرى عندما كانت تجلس زوجتي وابنتاي لمشاهدة برامج التليفزيون وأنا لا أفهم أى شيء لضعف نظرى ففعلا أنا أتمنى إذاعة مباريات الكرة كل يوم.

قلب دفاع الحسينية

■ أستاذنا نجيب محفوظ فى أى الفرق لعب زمان؟

– لعبت فى فريق الحسينية وفريق «فؤاد الأول» ونواد خاصة بنا نحن فى العباسية، فكنا نطلق على أنفسنا نادى «قلب الأسد» بينما هو ناد ليس له مكان ولا أى شيء.

ويضحك بسعادة شديدة ثم يضيف:

– كنت ألعب قلب دفاع، الكرة تغيرت جدا. زمان كان هناك «الجون» واثنان «باكات» وثلاثة دفاع وخمسة فراودة هذا على أيامنا.

■ ألم تكن تحرز أهدافا؟

– لا، لأنني كنت دفاعا، قلب دفاع.

■ إذن كنت تمنع الأهداف، وهل كنت تشجع فريقا معينا؟

– أنا كنت أشجع «لعيبة» معينين مثل حسين حجازى ومجموعته فى تلك الفترة فلما كانوا فى «الأهلى» كنت مع «الأهلى» وعندما خرجوا وانتقلوا إلى المختلط أصبحت مع المختلط.

■ والآن؟

– أنا الآن مع اللعب الحلو، لكنني لا أحفظ أسماء اللاعبين الجدد، فأنا كما هى الحال فى مشاهدة كأس العالم أحب مشاهدة اللعب الحلو، وعندما يدخل «جون» فى فريق يظل قلبى معه إلى أن يأخذ ربنا بيده.. «ويضحك».

■ بالنسبة للفرق العالمية ما الفريق القريب إلى قلبك وتحب متابعته؟

– الألمان ممتازون، الهولنديون أيضا لعبهم جيد، كذلك الفريق الذى هزمه الإنجليز «بلجيكا».

■ أكثر المصريين عند توجيه هذا السؤال إليهم تأتى الإجابة البرازيل؟

- أنا لم أر البرازيل لأنها لعبت فى الساعة السادسة، وأنا كنت أشاهد مباريات العاشرة فقط، لأننى فى الساعة السادسة لا أكون فى البيت، لكننى حين سمعت أن البرازيل خرجت شعرت بالدهشة.

■ كنت تشاهد كأس العالم مع الأسرة فى البيت. هل زوجتك وابنتاك يحببن مشاهدة الكرة؟

- أبدا، فلو لم أكن أنا أشاهد مباريات كأس العالم لحولن القناة على فيلم أو برنامج فى القناة الأخرى، لكن حرصا منهن على حالتى حيث يعرفن أننى من غير الممكن أن أشاهد التليفزيون إلا فى مباريات كرة القدم، لذلك فقد ضحين من أجلى.

ويضيف: زوجتى كانت عادة ما تترك الغرفة التى أشاهد فيها المباريات وكذلك ابنتى الصغيرة، أما «ثومة» - يقصد ابنته الكبرى أم كلثوم - فقد كانت تجلس معى ووجدتها قد تحمست بشدة لفريقنا المصرى، قلت: عظيم هذه علامة انتماء.

نوبل والنظام والفوضى

نقترب من أكتوبر أى مرور عامين على نوبل، وأذكرك أنك كنت قد صرحت بعد ٦ أشهر من حصولك على جائزة نوبل قائلا لن أظل موظفا لجائزة نوبل. بعد عام تكررت منك الصرخة نفسها. فهل مازلت تصرخ؟

نضحك معا ويقول:

أنا كنت أظن أن الحكاية كلها ستستغرق شهرا، شهرين، ولم أكن أتصور أنها لا تنتهى.

■ ولن تنتهى؟

يضحك قائلا:

- يبدو هذا.

■ مع شكواك المتكررة من نتائج نوبل والإزعاج الذى أعقب حصولك على الجائزة، أظن لو أن شخصا آخر فى مكانك فإنه كان سيسعد جدا بالضجيج الذى تشكو أنت منه؟

– هذا حسب الشخص ثم لابد من وضع السن فى الاعتبار ربما لو كنت قد حصلت على نوبل وعمرى أصغر بعشرين سنة، ربما كنت فرحت باللقاءات أكثر من الآن عشر مرات، وكنت سأكون قادرا عليها، فالسن لها أثرها، الأمر الثانى هو طبيعة الشخص، فأنا أميل للانطواء فلست ممن يحبون الحفلات والتكريم، بل إن مثل هذه الأشياء تزعجنى جدا. فموقفى ليس ظاهرة عامة فأؤكد لك أن نوبل لو كانت من حظ غيرى ربما كان يسعد بكل ما ترتب عليها أو ارتبط بها.

■ طبعا جزء من سبب انزعاجك هو حرصك الدائم على النظام؟

– بالضبط، جائزة نوبل أخرجتنى من النظام، فمنذ ذلك اليوم لم أستطع العودة إلى نظامى فى النوم والاستيقاظ، فقد كنت أستيقظ بالدقيقة، وكأن بداخلى منبها، وكنت أخرج فى موعدى الدائم بالدقيقة، الآن اختلف الوضع.

ويفسر الأستاذ نجيب محفوظ اختلاف الوضع بانزعاج شديد قائلا:

بدلا من الاستيقاظ فى الخامسة، أصبحت أستيقظ أحيانا فى الخامسة والنصف «ثم بأسى يضيف» وأحيانا فى السادسة.

قلت له وأنا مشفقة على حرصه الدائم على النظام:

ألم تشعر فى أى وقت من عمرك بالرغبة فى الفوضى أو التمرد على النظام؟

– أنا فى الأجازات أحب أن أمارس هذه الفوضى.

ثم إذا بهذه الأمور التى يعتبرها أستاذنا الكبير فوضى هى كما وضح قائلا:

عندما أذهب إلى الإسكندرية أخرج من البيت فى الصباح وليس فى ذهنى أية خطة فربما أجد أوتوبيسا واقفا أمامى فأصعد فيه فأجد نفسى قد وصلت إلى وسط المدينة مثلا، أنزل وبلا مواعيد أبداً، أما فى المساء فأجلس مع مجموعة من أدباء الإسكندرية هذا «معلهش» يكون فيه نوع من النظام.

الساعة

وأمام إجابته هذه التى اعتبر فيها الفوضى أو التمرد على النظام هى قضاء نهار بلا مواعيد سألته:

■ ما هى الفوضى فى رأيك وما هو النظام؟

– الفوضى كما أعرفها هى عدم الارتباط بأى موعد فى أى شىء. الله يرحمه الأستاذ أحمد على باكثير لم يضع ساعة فى يده طوال عمره كان يخرج بدون ساعة ويعيش بدون أى نظام، فهو يجلس مثلا على مقهى وأثناء جلوسه على المقهى يجد نفسه يريد أن يكتب فيكتب ومن حوله أصوات من يلعبون الطاولة، يأتى فيجدنا فى كازينو الأوبرا فيجلس معنا «وبدهشة كأنها مستمرة معه منذ تلك السنوات الطويلة يضيف أنه كان يجلس معهم دون أن يعرف كم الساعة».

■ البعض يعتقد أن الفنان إنسان فوضوى غير منظم، فما رأيك فى هذا الاعتقاد؟

– هذا شىء لا أرى فيه أى معنى، فالأمر الذى لا يخضع للنظام هو ما يسمى بالإلهام الفنى، لأنه يأتى فى أى وقت سواء كان الإنسان نائما أو مستيقظا، أما العمل فهو الذى يحتاج لنظام والعمل بمعنى تنفيذ ذلك الإلهام.

الحب والخبز والغناء

■ تتحدث بحماس دائما عن ضرورة حل المشاكل الاقتصادية لكن ألا يكون الحب قبل الخبز أحيانا؟!

– المشاكل الاقتصادية لم تترك مكانا للحب.

■ هل الحب بالفعل أصبح أقل فى حياتنا؟

– بلاشك، فالمأزوم لا يكون عنده وقت للعواطف الرقيقة، فهو مشغول عنها.

■ هل هذا هو السبب فى أن أغانى زمان أحلى من الأغانى الحديثة؟

– ربما.

■ أنت تحب «أم كلثوم» وأغانيها القديمة. هل تدندن أحيانا بينك وبين نفسك بمقاطع أغانيها؟

– أنا أتذكر أغانى أم كلثوم، أما أن أغنيها فهذا شيء صعب لأنها تحتاج لحنجرة قوية، إنما إعجاز سيد درويش أن أغانيه حلوة وفى الوقت ذاته سهلة يمكن لأى أحد أن يغنيها، لذلك فأنا أدندن أحيانا أغانى سيد درويش مثل «زورونى كل سنة مرة» «سلمى يا سلامة» و«على قد الليل ما يطول».

■ ما الشيء الذى يمتعك حاليا؟

– الآن يمتعنى الجلوس مع أسرتى والجلوس مع الأصدقاء كذلك الجلوس مع نفسى.

■ وزمان؟

– زمان كانت هناك متع كثيرة.

ثم يوضحها بحنين قائلا:

كانت هناك القراءة وكانت هناك الكتابة، وأيضا الأصدقاء والموسيقى وكانت هناك أشياء كثيرة.

أدعو لكاتبنا الكبير بالصحة والعمر كي يمتعنا كما أمتعنا دائما وأنا أقول له:

أمتعتنا بحديثك يا أستاذنا.

فيرد بخجل:

الله يخليك.

أضحك وأنا أقول:

لقد جئت لزيارتك اليوم بعد تردد طويل خوفا من التكرار الذى تشكو منه فأتمنى ألا تكون قد وجدت الكلام معى مكررا.

رد بوده المعهود:

ليس مكررا، بل فيه الجديد.

ضحكت وهو يصافحنى وأنا أقول:

طوال عمرك مجامل يا أستاذنا الكبير.



- أمنيتى الآن الستر وحسن الختام
- لست عصى الدمع فعندما أكون وحدى أبكى
- الأغنية الوحيدة التى أسمعها الآن هى التى أغنيها لنفسى
- من العطور أحب «الليمون»
- أقاوم كى لا تتحول حياتى إلى ملل
- لا أشتاق لشىء الآن مثلما أشتاق لرؤية صديق يتحدث معى.

● سبتمبر ١٩٩٤ ●

عندما نلتقى بإنسان نحبه فإننا عادة ما نسأله عن أحواله وعن مزاجه وعن أحزانه.

وبهذه البساطة ذهبنا للقاء أديبنا الكبير نجيب محفوظ، لم نرهقه بأسئلة تفصيلية تحتاج لإجابات طويلة، لأنه قد قال وكرر من قبل أنه لم يعد قادرا على الحوارات الطويلة مثلما لم يعد قادرا صحيا على كتابة الرواية الطويلة.

لذلك قنعنا منه بحديث حميم أقرب إلى الدردشة والسؤال عن أحواله.

المدهش، وإن كان يجب ألا يدهشنا من الكاتب الكبير، هو أن أسئلتنا البسيطة قد جاءت بإجابات شديدة العمق، مثيرة للتأمل فى أحوال الزمان وأيام ومراحل عمر الإنسان.

فى مكتبه بالدور السادس بجريدة الأهرام استقبلنا بتحيته المعتادة «أهلا وسهلا» أما الذى لم نكن معتادين عليه فى لقاءاتنا السابقة معه فهو ذلك «المكبر» الذى يضعه أمامه وتلك العصا الطويلة إلى جواره كى يتوكأ عليها عندما يحين موعد العودة إلى البيت.

بعد أن جلست بالقرب من أذنه اليسرى كى يصل صوتى إليه عبر السماعة الطبية التى يستخدمها قلت أننى مع القراء نريد أن نطمئن على أحوال أديبنا الكبير لأنه يبدو أحيانا فى الفترة الأخيرة وكأن هناك ما يبعث الحزن إلى نفسه.

ضحك أستاذنا الكبير محاولا على طريقته أن يسخر من الأحوال قائلا: أنا لا أرى نفسى حتى أعرف هل ملامح الحزن تظهر على وجهى أم لا.

ثم صمت متأملا اكتشاف الآخرين لشىء ما فى نفسه، وأجاب بجدية قائلا: لقد ازداد ضعف سمعى، وأضيف إليه ضعف نظرى، مما جعلنى لا أستطيع أن أقرأ أى كتاب أو مجلة أو جريدة، كما أننى لا أستطيع مشاهدة التليفزيون أو الاستماع إلى المذياع، فتوقفت تقريبا

متعة المتابعة عندى، ولا أستطيع معرفة أحوال الدنيا إلا عندما يجلس معى أحد الأصدقاء ويقرأ لى الجريدة، أو فى أحيان أخرى يقرأ لى أحد الأصدقاء قصة أو قصيدة فى المساء، وأظن أن هذه الصعوبة فى المتابعة هى التى تجعل التأثر يظهر على وجهى عندما أسهو أحيانا أثناء جلوسى وسط الآخرين، فقد أصبحت كإنسان قد تم تجريده من كل الأشياء التى كان يستمتع بها فى الحياة.

أقول : وهل أنت عصى الدمع شيمتك الصبر عند الحزن؟

يرد: أعتقد هذا.

ثم يتراجع قائلا: لكنى لست عصى الدمع بشدة، فعندما أكون وحدى أبكى.

أكرر: هل تبكى وحدك؟

يؤكد قائلا: نعم، عندما يكون هناك ما يستدعى.

■ ومتى تفرح؟

– عندما أجلس مع أسرتى أشعر بالفرح، عندما أقابل الأصدقاء أفرح، الاستماع للأخبار الحلوة يفرحنى، عندما يقرأ لى البعض قصة أو جريدة فإن القراءة أمر يفرحنى.

■ هل الطعام مرتبط عندك بالفرح أم بالحزن؟

– عندما أكون حزينا أفقد شهيتى للطعام.

الأغانى والملل

■ متى تشعر بالملل؟

– أنا الآن لو استسلمت فإن حياتى كلها ستتحول إلى ملل. لذلك فإننى أقاوم ذلك ما استطعت سبيلا.

■ ما هى الروشتة التى تقاوم بها الملل؟

– فى الصباح يقرأ أحد الأصدقاء لى الجرائد، أقابل الأصدقاء وأسهر معهم، وكذلك أجلس مع أهلى فى البيت، بهذه الحركة والتنوع وبفضل الأصدقاء لا يجد الملل سبيله إلى نفسى.

■ هل المشى أيضا يبعد الملل؟

– لقد أصبحت محروما أيضا من المشى، فمع ضعف البصر لم أعد أمشى لخطورة عبور الشارع، فالمسافة التى أراها محدودة، لذلك فأقصى شىء هو أن أمشى مسافة قصيرة لشراء الجرائد مثلا.

■ زمان كنت تحب أن تترنم ببعض الأغانى أثناء المشى مثل «اوعى تكلمنى بابا جاى ورايا».

– نعم.

■ الآن وقد توقفت عن المشى هل توقفت أيضا عن الغناء لنفسك؟

– بالعكس، أنا الآن مازلت أردد الأغانى، خصوصا أن الأغنية الوحيدة التى أسمعها هى التى أغنيها لنفسى.

فسمعى الضعيف الآن يشوه الغناء، ولو أداروا لى أسطوانة لأم كلثوم لا أسمعها بل أسمع نعيرا وكذلك محمد عبدالوهاب وكل الأغانى، فالأغنية الوحيدة التى لا يوجد بها نشاز هى الأغنية التى أسمعها من الداخل، أى التى أغنيها أنا. (ويضحك ضحكته العالية).

فأقول: مازلت تملك ضحكتك المميزة؟

يقول: عندما يكون هناك ما يستدعى الضحك.

■ هل أنت مع مقولة اضحك تضحك لك الدنيا؟

– طبعا. الضحك شىء جميل.

■ وهل شر البلية ما يضحك؟

– هذا ضحك ربنا ما يحكم به على أحد.

■ رأيتك فى لقاء مع محمود السعدنى وكنت فى ذلك اللقاء تضحك من قلبك، هل أنت معتاد على اللقاء بمحمود السعدنى كثيرا؟

– أنا أتصل به عن طريق مجلة الشباب مثلا، وأنا أحب القراءة للسعدنى جدا.

■ هل يضحكك عادل إمام؟

– ما رأيته منه شىء بديع.

■ الفنان عادل إمام وهو صاحب أكبر نجومية فى عالم الفن ذكر مرة أن أصعب ما يمكن أن يواجهه النجم هو انطفاء الأضواء من حوله، فهل يرى أستاذنا الكبير نجيب محفوظ وهو أشهر نجم فى عالم الأدب أن النجومية أمر يسعده أم يضايقه؟

- فى كثير من الأحيان النجومية مسألة تضايق. خاصة عندما لا يستطيع الإنسان الاستمتاع بجلسة يرتاح فيها.

الشوق والعطر والزمن

■ إلى أى شىء تشتاق الآن؟

- «يضحك ويكرر كلمة «أشتاق» ثم يقول: لا أشتاق الآن لشىء مثلما أشتاق لرؤية صديق يتحدث معى.

■ ومن أى شىء تهرب؟

- لا أهرب وإنما أتجنب المقابلات الجماعية، الدعوات، ومثل هذه الأشياء التى لا أقدر عليها الآن.

■ هل تحب العطور؟

- نعم.

■ أى الأنواع تحب؟

- أحب رائحة الليمون.

■ وأى أنواع الورد تفضل؟

- الورد البلدى «أبوريحة».

■ الصيف والشتاء كيف ترى كلا منهما؟

- الشتاء فصل نشاط الجسد والروح، أما الصيف فبالعكس خمول فى الجسد والروح.

■ الليل والنهار.

- لكل جماله، النهار يشهد حركة الإنسان وعمله، والليل يشهد سهره ولياليه الحلوة.

■ ما هى الشيخوخة؟

– الشيخوخة هى ضعف القوى الحيوية.

■ ما أجمل فترات حياتك: الطفولة، الشباب، الشيخوخة، أم أن لكل مرحلة جمالها؟

– لكل مرحلة جمالها بلاشك، لكن فترة الشباب فى منتصف العمر هى فترة الأمل والتحصيل والحيوية والقوة، فبلاشك أنها هى الأجمل.

■ ما الأفكار التى تشغلك حاليا؟

– لا شيء سوى التفكير فى البلد.

■ ما الشيء الذى فعلته أو كتبته وندمت عليه؟

يرد: أشياء كثيرة.

■ أقول: هل تذكر أمثلة؟

يصمت طويلا ثم يهرب من الإجابة بضحكة قائلا: مادمت قد ندمت إذن فالمسامح كريم.

أقول: فى الثمانينيات من عمر توفيق الحكيم اعترف بالندم على احتراف الكتابة وبأنه لا يرى قيمة لما فعل. فهل راودك مثل هذا الشعور؟

– أنا أعتبر أن أكبر نعمة أنعم بها الله علىَّ فى حياتى هى الكتابة والفن والأدب.

أقول : تتابع الأخبار عن طريق من يقرأها لك، ما هو الحدث الذى تحرص على متابعة تفاصيله؟

فيرد: أتابع الأخبار الداخلية، أخبار العالم وأخبار العالم العربى، لكن هناك أخبارا تجذب فى وقت من الأوقات مثل «اليمن» و«البوسنة» وهكذا.

■ هل تبعث متابعة الأخبار بالاكتئاب فى نفسك أحيانا؟

– نعم.

■ مثل ماذا؟

– يووه أخبار الاكتئاب تملأ الدنيا، فما يجرى فى رواندا سواء

من قتلوا أو ماتوا من الجوع أو من يضيعون بالكوليرا، ما حدث فى البوسنة، وما جرى فى اليمن، هذه كلها أشياء تترك آثارها على الأعصاب بلاشك.

■ كيف ترى المستقبل؟

– أحب أن أرى المستقبل دائما أفضل.

■ على الرغم من كل ما تبعثه الأخبار من اكتئاب؟

– نعم، لقد مررنا بأشياء سيئة كثيرة، لكن سيُصلح الحال بإذن الله.

■ أتأمل قدرته على الأمل وأنا أسأله: ما هو تعريفك للحياة؟

– يقول بابتسامته الطيبة: هى النعمة التى نشعر فيها بذاتنا وبالوجود.

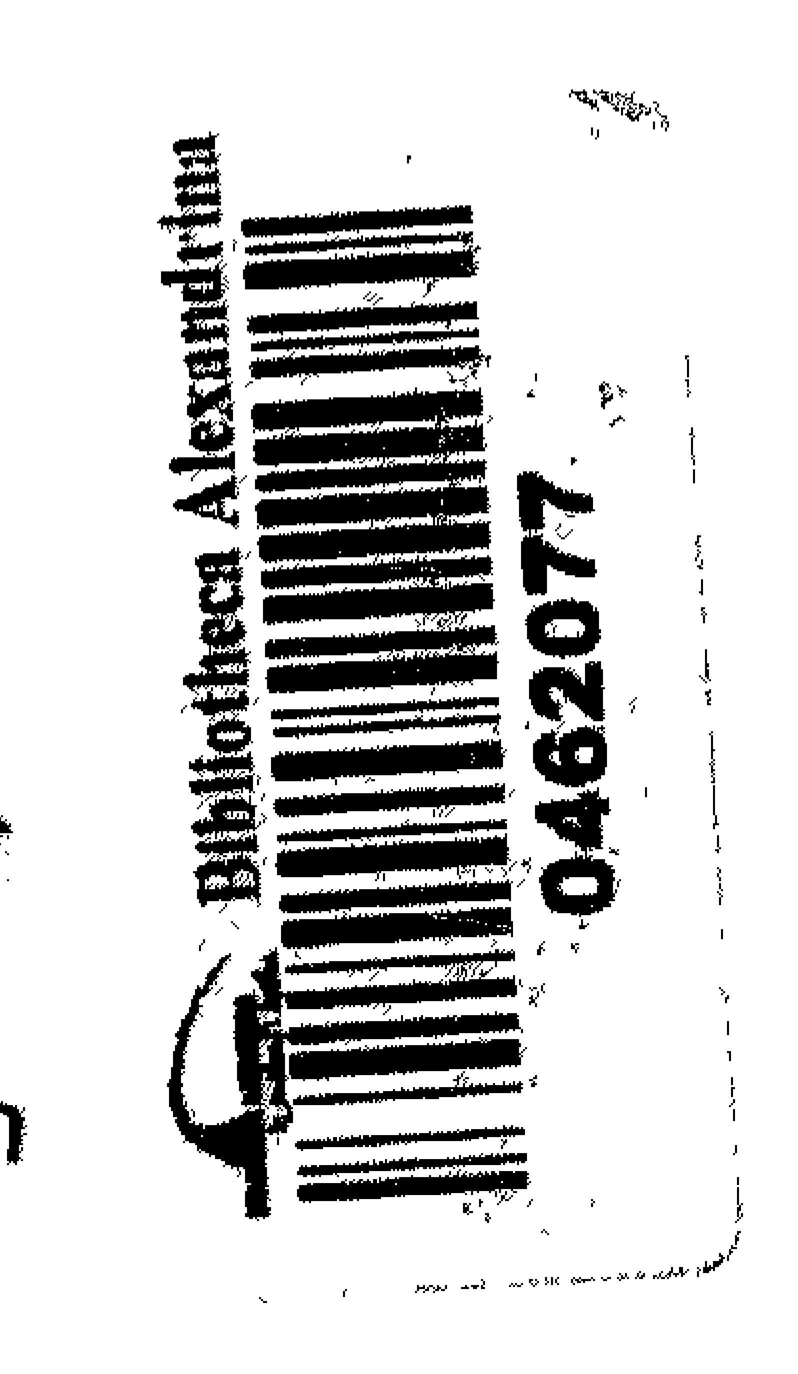
وأخيرا أقول: ماهى أمنيتك الآن؟

يرد: الستر وحسن الختام.

الفهرس

رقم الإيداع
٢٠٠٢/٥٩٨٨
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977-08-1047-9

مطابع دار أخبار اليوم



الثمن ٦ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم